طه الراوي

المراقب

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2197) السنة الثامنة

الخميس (21) تموز 2011

10

هكذا عرفت

طه الراوي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

أيـــــام طـــــه الـــــراوي

العلامة طه الراوي الذي يعتبر واحدا من علماء اللغة العربية في هذا القرن اكمل بهمته العالية جهود الرعيل الاول من اللغويين كاليازجيين والبستانيين وغيرهم ممن اغنوا اللغة العربية بدراساتهم القيمة.

ورغم ان طه الراوي لم يترك الكثير من الاثار المكتوبة في هذا المجال اسوة بمن عرف وقدر من علماء اللغة كالخليل بن احمد الفراهيدي فقد تناقل طلابه اراءه وتداولوا احكامه فيها وانتصروا للكثير من تأويلاته بشأن ما اختلف عليه من مفاهيم في النحو او الاشتقاق.

وكان دائم التاكيد لكل من يسأله ان ينزع الى التاليف بان، خير اثاري في خدمة اللغة العربية تلاميذي، وكما عزز سيبويه والليث بن المظفر والاخفش مكانة الفراهيدي وحملوا اسمه عاليا في كل مكان عزز طلاب الراوي جهوده وتواصلوا بها واعتمدوها في الحجة والبرهان فكانوا الخلف الصالح للسلف الصالح بما نقلوا عنه وما رووا عن سعة علمه بكل مداخل اللغة والادب والتاريخ الادبي فكان ان طبقت شهرته الافاق وتسنم على اثرها المناصب العالية في المجالات الادارية والادبية، يؤخذ برأيه بكل صغيرة وكبيرة في مشاكل اللغة لانه ومع شدة تحمسه الى اللغة العربية وبنيتها القويمة لم يكن منغلقا فهي في نظره "كائن حي معروض لعوامل التراكيب والتجدد.. واهم علائم الحياة في اللغة تحكم عاملي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنفوان شبابه. فتستغني عن الفاظ وتراكيب وتضم الى نفسها الفاظا وتراكيب حسب ما تقضي به عوامل النشوء والارتقاء او كما يقولون حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي ومن هذا نعلم ان العربية اليوم غيرها بالامس".

وفي داره القائمة في "كرادة مريم" في بغداد التقينا بابنه الاستاذ الاديب حارث طه الراوي ليحدثنا حديث العارف بكل شيء عن ابيه وليؤرخ لنا نشأته ويوضح لنا مواقفه من التعريب والتيسير في اللغة وغير ذلك.

"امام عسكر" في "جامع القطار"

قال: ولد والدي "طه الراوي" عام ١٨٩٠ في قرية على شاطيء الفرات تدعى "عانة" وقد سماه جدي باسم "طه" تيمنا باسم طه الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم.. وفي العاشرة من عمره اصيب بالجدري فقد على اثره عينه اليمنى الا ان ذلك زاد من رغبته في القراءة والمطالعة وكأنه يتحدى بهما ما كتب عليه.. وكان كثير الاستماع الى ما يتلى من سور القرآن الكريم وما يسمع من جدي – اي ابيه – الحاج صالح الفضيل من تفسير بعض اياته حتى استهوته بلاغة القرآن واخذت بمجامع قلبه روعته وصار بذلك همه الشاغل الذي ابعده عن لهو اترابه البريء.. وفي عام ١٩٠٥ استجاب والده لرغبته في السفر الى بغداد ليواصل دراسته وهكذا التحق بمدرسة "خضر الياس" الكائنة في جانب الكرخ وسكن احدى غرفها.

ثم انتقل عام ١٩١٠ الى كلية "الامام الاعظم" وفي عام ١٩١٤ اضطر الى ان ينقطع عن الدرس بسبب الحرب التي اوكلت اليه بسببها مهمة تعليم الجند فعين "امام عسكر" في "جامع القطار".

واستمر على مثل ما اراد لنفسه من ولع في اللغة واومورها يوصل من اجلها ليله بنهاره حتى صار حجة فيها لا يقبل بها بديلا.. وفي عام ١٩١٧ انخرط في دورة دار المعلمين الابتدائية واجتاز امتحاناتها بتفوق خوله ان يتسلم وظيفة مدير لمدرسة الكرخ الابتدائية في السنة ذاتها.. ثم تدرج من منصب الى منصب وفي عام ١٩٢٨ عين سكرتيرا لمجلس الاعيان العراقي وفي عام ١٩٣٢ انتخب عضوا فعالا في المجمع العلمي العربي في دمشق.. وقد زود "مجلة المجمع العربي" بالكثير من دراساته ومقالاته القيمة وفي عام ١٩٣٧ عين ابي مديرا للمعارف.. ثم استاذا في عام ١٩٣٩ في دار المعلمين. وكان ان مثل العراق في عدد من المؤتمرات والمكاتب الثقافية، فقد مثله عام ١٩٤٣ في المكتب الثقافي بين مصر والعراق، وكان واحدا من ثلاثة في المهرجان الالفي لابي العلاء المعري الذي اقيم في دمشق ١٩٤٤ وكان الاخران هما الجواهري والدكتور مهدي البصير.

وبعد لقد توفي والدي في الحادي والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٦.

× كيف كان موقفه من علماء جيله اللغويين.؟

– كان شديد الاحترام لكل عطاء خير يقوم على الدراسة والرؤية والدقة ويذكر بالخير كل جهد في هذا المجال الا انه الى جانب ذلك كان شديد الغضب على من تسول له نفسه سد الابواب على اللغة بحجة الدفاع عنها وفي كتابه "تاريخ علوم اللغة العربية" الكثير من النصوص القائلة بذلك منها قوله "ان كثيرا من المتحذلقين نصبوا انفسهم منصب المهرة من الجهابذة وراحوا يخبطون خبط عشواء يبيحون الممنوع ويمنعون المباح على غير هدى. حتى ظن حملة الاقلام الذين لا علم لهم بدقائق اللغة ان هذه اللغة اصبحت داخل سياج لا يمكن اقتحامه بسبب ما يصوره لهم اولئك المتحذلقون الذين اساؤوا الى اللغة الكريمة من حيث يزعمون انهم يحسنون اليها" ثم يردف ذلك بقوله: "فكانت معرتهم هذه احدى الرزايا التي اصيبت بها لغتنا الكريمة".

ولذلك كان يقول بضرورة تفتح اللغة ضمن اصولها في الاشتقاق والنحت والقلب والابدال بحيث يكون ما يدخل اليها جزءا منها بسبب من قابليتها تلك وهو من هذه الزاوية ينظر الى التعريب نظرة المتفائل به، فالتعريب بالنسبة للغة العربية احد عوامل توسعها.. ان لغتنا العزيزة فهي والحمد لله من اقوى اللغات على الهضم والتمثيل. تنتزع اللفظة من اية لغة شاءت ثم تزدردها فلا تبرح ان تهضمها وتمثلها اي تمثيل وتجري عليها تصاريفها وتصبح كانها في الصميم منها".

ان هذا الفهم الذي اوصله الى الربط بين المفردة والحياة اقام عليه الاساس الذي يجب ان تعتمده اية لغة تريد ان تجدد نفسها باستمرار ومن لايفهم اللغة كذلك انما هو داعية لقتلها وتجميدها.

اللغة الوسطى

× وماذا بخصوص تيسير اللغة للناشئة، فالطالب منا لم يعد مجال قراءته مقتصرا على اللغة بل على العديد من العلوم مما يستوجب اعادة النظر في امر تيسيرها بالشكل الذي يواكب العصر.. فماذا قال عن ذلك..؟

– لقد كانت له مواقف مهمة في هذا الحيز ومن بعد الى كتابه "تاريخ علوم اللغة العربية" يجد الكثير.. وهو ينحو باللائمة على كل من تغريه نفسه للنيل منها بحجة وعورتها وصعوبتها ليبيح لنفسه القول بالتجول الى العامية او الكتابة باللاتينية لغرض مشبوه في النفس، كما ينحو باللائمة على من يتجاهل الظروف المحيطة بقارئ اللغة اليوم من الطلاب فيسعى لان يراكم المواد فوق بعضها البعض متجاهلا الامكانات المتوافرة لذلك، فاللغة العربية ليست وعرة المسالك شأنها شأن غيرها وان على مصلحيها ان يذللوا ما فيها من مصاعب ومن لايذهب هذا المذهب سيمسخ اللغة ويهدمها.

وقد تعرض لموضوع تيسير اللغة في بحث كامل يقول في احدى فقراته بضرورة "القيام بوضع كتب للناشئين على نمط عصري تتوفر فيها جميع اصول التعليم الحديث.. وهذا يقضي باعادة النظر في بعض علوم اللغة العربية فيزاد فيها وينقص منها كما تقضي بذلك طبيعة العلوم في العصر الحاضر".

وفي دراسة له عن "اللغة الوسطى" التي تقوم بين اللغة المعربة واللغة العامية، لها من الاولى عروبة الفاظها وصحة تراكيبها ولها من الثانية التسكين في اواخر الكلمات، يرى بامكان الاخذ بها وسيلة للتفاهم فيقول في ذلك "يجب الاعتصام باللغة المعربة في التدوين والنشر والاذاعة وان يتخذوا من اللغة الوسطى اداة للتفاهم بين اهل المعرفة من ابناء العروبة في مشارق الارض ومغاربها لانها اللغة الجامعة فان التفاهم بالمعرب من القول قد يعسر اليوم على جمهرة المتعلمين بله من دونهم من ابناء هذه اللغة فعلينا ان ننتفع باللغة الوسطى في سبل المشافهة والمحادثة".

× ولكن كيف السبيل لتثبيت اصول لهذه اللغة الوسطى..؟

– لقد تعرض الى ذلك بمنهجية علمية فطلب وضع مخطط يكون من مهمته تيسير نشرها ويقوم على عشر نقاط كوضع الكتب المبسطة للاطفال وفرض التعليم الاجباري والاكثار من المحاضرات وتوجيه الاغاني اليها وتنشيط حركة الطباعة.. والاكثار من المكتبات العامة وعقد المؤتمرات الدورية في الاقطار العربية.. الى غير ذلك.

والنحو..؟

– ان دراسته المنشورة في عدد من اعداد مجلة "الثقافة" القاهرية عن "نظرة في كتب النحو" ودراسته المستفيضة المنشورة في مجلة" المجمع العلمي العربي عام ١٩٣٦ عن موضوع اللغة توضحان موقفه بهذا الشأن، الى جانب كتابه المشهور "نظرات في اللغة والنحو" وكل هذه الدراسات تؤكد على ضرورة التدرج في اعطاء المعلومات النحوية بحيث يستند بعضها على بعض بشكل مترابط ومتكامل "وانه لايجوز التعرض لايضاح مسألة ما الا بعد الاعداد لها وتوضيح العناصر اللازمة لايضاحها قبل الاقدام عليه فلا يبحث عن المتعدى واللازم مثلا الا بعد معرفة النصب والمفاعيل ولا عن المعلوم والمجهول الا بعد معرفة الفاعل وما ينوب عنه".

واننا في هذه العجالة يصعب علينا ان نلخص كل ارائه الا انني يمكنني ان اؤكد بان والدي كان ذا موقف شامل يؤمن بضرورة المحافظة على اللغة سليمة معافاة مع الاخذ بكل جديد بوطدها ان كان ذلك في مجال الصرف او النحو.. ولمن يريد التوسع في الالمام بمنهجية في دراسة اللغة العربية يمكنه الرجوع الى كتابه "نظرات في اللغة والنحو".

عن مجلة بيروت المساء نيسان
1974

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
حزيران 2011

طه الراوي بين النظرية الأخلاقية والتطبيق

من اصعب مهام المربين في المجتمعات النامية ايجاد القواسم المشتركة بين النظريات العلمية في الاخلاق وبين مفاهيم تلك المجتمعات المنشدة الى سلسلة طويلة من الموروثات، وقد انتبه المربي الكبير المرحوم طه الراوي الى هذه الحقيقة فقال في عام 1937 عندما كان مديرا عاما للمعارف (اننا نعلم علم اليقن بان كثيرا من البلبلة في الافكار والتدافع في الغايات في بعض البلاد الشرقية وسع من اختلاف اهداف التربية في المعاهد المنشاة للاغراض الخاصة لا المصالح العامة، فان الكثير من المدارس المنشأة لاغراض التبشير الديني والسياسي وغيرها كانت – على ما فيها من الفوائد العلمية – من عوامل التعريف في الاراء والتشتيت في الغايات .

عبد الغني الملاح

ويذهب طه الراوي (١٨٩٠ – ١٩٤٦) في هذا القول مذهب جون ديوي (١٨٥٩ – ١٩٥٢) في قوله (لكي تربي التفكير عند الناشئة يجب ان يكون التعليم سلسلة من المشاكل لا مجموعة من التعاريف).

وهذا ما تفتقر اليه المعاهد المعدة لاغراض خاصة التي قصدها (الراوي) حيث تنعدم فيها المشكلة التي يحتاجها الطالب في تنمية الفكر من خلال حلها، ويتطرق (طه الراوي) الى نظريته هذه بتعاريف اكثر وضوحا فيقول: (ان مهمة المعلم ليست مقصورة على تغذية تلاميذه بالمادة العلمية المقررة في المنهاج فحسب، بل عليه ان يوجه عنايته الى الناحية الاخلاقية التي لا تقل مكانة من الناحية العلمية بل هي ادق مسلكا وابعد اثرا. وبهذا يحدد اهمية السلوك في الناحية الاخلاقية ومهمته الفعالة في المجتمع، وهذه المهمة هي ان (تتفهم الاخلاق طبيعة الكائنات العضوية في التركيب الانساني وانه يتركب من مجموع السلوك في السياق الاجتماعي).

والمهمة الاخلاقية في نظر (الراوي) تتضح في قوله : (ومهمة المعلم الاخلاقية ترتكز على قاعدتين: الاولى، تتكون من مجموع الارشادات التي يبثها المعلم اثناء الدرس. والثانية، القدرة الحسنة بما يجده التلميذ في معلمه. وهذا التقسيم يعالج النواحي الايجابية في السلوك الانساني على ضوء الحوافز التي يثيرها المعلم ويشير بشكل غير مباشر الى عناصر الاخلاق المتكونة من غرائز وعادات ووجدانيات، وانشطار كل عنصر من هذه العناصر الى شطرين احدهما سالب والاخر موجب.

وقد لاحظ المربون واصحاب النظريات الاخلاقية ان الانسان من وراء هذا التداخل (يبني الافا من المشروعات المثالية في عبارات من الفضيلة عن طريق النوعية والكتابة والخطابة، ولكن الواقع يحطمها بلسان القوة)، وخصوصا عند اهمال معالجة التداخل بين هذه العناصر وشطائرها، فتصبح مهمة المربي المباشر او كما سماه طه الراوي "المعلم" شاقة في اكتشاف قوة العناصر كلا منها على حدة، ان كان ذلك عند الطفل او عند البالغ، من اجل التعامل مع الانماط المختلفة على اساس تميز السجايا الانسانية، اذ ان تميز هذه السجايا اهم من افراغ المادة المنهجية في افكار التلميذ او الطالب..

ومن هذا المنطلق اعتبر طه الراوي (الفقر العلمي والفقر الخلقي) في مقدمة اسباب الناشر الحضاري ومن هذا المنطلق ايضا قال: (اني اعتقد جازما ان اول تلك الاخطار واشدها فتكا وتهديما هو الجهل وينقسم الى قسمين:

١-الجهل المطلق.

٢-الجهل النسبي

اما الجهل النسبي فيخفى امره على الكثير من قصار النظر وهو عندي اشد فتكا من الجهل المطلق في كثير من الاحيان، فانصاف المتعلمين افتك في جسم الدولة من اقحاح الجهال، لان هؤلاء يعرفون مواطن نقصهم واولئك لايعلمون وان كثيرا من الكوارث التي اصيبت بها مؤسسات دولتنا كانت منبعثة من هذه الناحية.

الراوي واللغة العربية الفصحى

× كان الراوي من دعاة اللغة الوسطى وقد بذل جهودا مضنية على تركيزها ونشرها وبعثها وفي هذا المجال يقول:

الا يعلم اولئك المتفرنجون ان موت العربية الفصيحة – لاسمح الله – هو موت الامة، وانفراط عقد جامعتها ، وهل في الاقتصار على العامية الا قطع وشيجة التفاهم بين العراقي واليماني وبينهما وبين الحجازي، وبينهم وبين السوري والمصري والمغربي الخ. اذ لغاتنا العامية تتفاوت تفاوتا لايقف عند حد، وليس لدينا لغة عامة تصلح للتفاهم غير هذه الفصحى، ثم قل لي بعيشك انى يسوغ للعربي الصميم، هجر لغة حاك اجداده مدنيتهم العظمى من اسلاك عباراتها وبنوا صروح حضارتها من كلماتها حتى اصبحت اثارهم فيها زهرة والنواظر وزينة الخزائن، اللهم الا اذا سولت له نفسه طمس ذلك التراث الجليل، واطفاء ذياك النور المتلالئ ، وهذا ما لايرضاه العدو لعدوه، فضلا عن المرء لنفسه وبني جنسه. ونلاحظ ان (طه الراوي) كان يستعمل كلمة "الاخلاق" في كتاباته للدلالة على السلوك الانساني، وبذلك يتفق مع (جون يوي) في هذه النظرة ويتجهان الى ان الاخلاق لا تنحصر في المجالات المدرسية، انما تتعداها الى كل المجالات الاجتماعية بل (يجب توجيهها نحو الثقة المتبادلة والاحترام المتقابل وحب الخير واحترام الذات البشرية والقدرة على التفكير السليم والاعتراف بمبدأ الكفاءة والاختصاص في تدوير الشؤون العامة).

فعندما يقول طه الراوي (ولا جدال في ان يد المعلم اقوى الايدي اثرا في بناء كيان الامة العلمي).

يعني كل هذه الامور في بناء المجتمع السليم فميزان الاخلاق عنده تتحدد مقاييسه بالاعمال المثمرة للمجتمع كله. لذلك يطلب من المعلم ان يكون يدا قوية في بناء كيان الامة العلمي والسيطرة على حساسية هذا الميزان من خلال مئات الاسئلة التي تثيرها عمليات التربية في شتى مراحلها، فاي خطأ في الجواب يقع فيه المربي او المعلم وفي اية مرحلة من مراحل التعليم تتوقف عند الناشئة شهوة الفهم وتنحدر بهم الى الشتات العقلي. فيفقد المربي عند ذلك السيطرة على عناصر المكونات لكل شخصية من شخصيات طلابه او تلامذته، ومن ثم يعجز عجزا تاما عن بناء خلق جديد للناشئة.

ومثل هذا العجز عالجه (طه الراوي) في اكثر من مناسبة فاعتبر (الفقر العلمي عند المربي يوازي الفقر المادي عند الانسان العادي). ومن يدرس طه الراوي من خلال كتاباته وممارسته ادارة التربية يلاحظ انه طرح اكثر من قضية تربوية ومارس تطبيقها. ولكن كم من الناس انتبه الى المشاق الفكرية التي عاناها ذلك المفكر وهو يعمل على تطبيق افكاره الاساسية في ميدان اكثر تحديدا هو ميدان الاخلاق بجانبيه السلبي والايجابي.

مجلة الف باء 1974

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

حديث الذكريات مع حارث طه الراوي

إضاءات وثائقية يزاح الستار عنها للمرة الأولى

مجلس الراوي في أخبار البغداديين ◆ ماذا قال الراوي عن جبران

مجموعة من الادباء العرب بينهم امين الريحاني، هبة الدين الشهرستاني، الرصافي، الزهاوي، طه الراوي

هذا الملف اعدته مجلة الف باء في الذكرى الحادية والثلاثين لوفاة العلامة طه الراوي.

يبقى الحديث مع حارث نجل المرحوم الراوي يحمل اضاءات وثائقية يزاح الستار عنها للمرة الاولى .. من اين ابدأ معه.. عندما خيرته اختار لحظات غروب والده الابدي..

في مساء اليوم العشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٦ كنت اتجاذب الحديث مع والدي في غرفة المكتبة. كان الحديث في اغلبه ادبيا، تناول شعراء العصر فابدى الراوي اسفه لغروب الرصافي بعد الزهاوي وتحدث عن الفراغ الكبير الذي تركه شعراء من هذا المستوى. وصارحني بالوحشة التي يحسها بعد غياب صديقيه الشاعرين الكبيرين واذكر اني ذكرت الجواهري فابدى اعجابه بشعره وقال لي:

– قرأ الجواهري على مسمعي قصيدته عن المعري في دمشق قبل ان ينشدها في المهرجان فاستحسنتها. وابديت بعض الملاحظات البسيطة عنها فلقيت قبولا عند الجواهري.

وعرجت على شعراء المهجر فابدى اعجابه بابي ماضي. وهو يحتفظ بين اوراقه، بمختارات من شعره ، واذكر ان الراوي، في ليلته الاخيرة شاء الاستماع الى المذياع فالقاه ساكتا فتنهد – رحمه الله – وتمتم:

– لا حاجة بي اليه بعد الان!

وبعد برهة من الزمن زاره صديقه السيد حسين النقيب فجلست معهما بحضور اخي الاكبر وكان الحديث مع صديقه ابي علي شائعا كالمعتاد تتالق فيه النكات وتزدهر الطرائف.

وبعد ذهاب ضيفه رأيته تلك الليلة في حيرة عميقة تشير الى ضجر مستحكم، فقد سئم الرجل اعباء الحياة واتعابها، وكان متعبا للغاية لايعرف الراحة في سبيل التعلم والتعليم ولم يفارقه الكتاب لا في شبابه ولا في كهولته ولا في شيخوخته.

لقد عصرت قلبي حيرته، وفي الصباح كان قد تاخر في نومه وتاخر على موعد ذهابه الى الكلية، بعدها فوجئنا به وقد اسند ظهره على الحائط وكان رأسه ماثلا على صدره وهو يرسل شخيرا متقطعا وفي محاولتنا ايقاظه لم ندر ان هذه الغيبوبة الرهيبة هي بداية النهاية، وذهب اخي مسرعا بالسيارة الى الدكتور هاشم الوتري – رحمه الله – الذي لم يكد يفحص طه الراوي حتى تمسك بصراحته في هذا الموقف الدقيق وقال لنا (قد يعيش).. فاجهز على الامال الضعيفة التي كانت تختلج في قلوبنا.. وجاءت سيارة الاسعاف وحمل الراوي الى المستشفى وبعد ساعتين اي في العاشرة صباحا هتف الهاتف الينا نعيه.

لقد توفي رحمه الله بسبب نزيف دماغي كما اجمع الاطباء برئاسة الدكتور الوتري.

× اسوق هذه الحقيقة بسبب ما نشرته جريدة (الزمان) في اليوم التالي (٢٢ تشرين الاول ١٩٤٦) في صفحتها الثانية تحت عنوان (فجيعة البلاد بفقيدها الكبير طه الراوي) عن سبب الوفاة ما نصه: (فقد وافاه الاجل المحتوم على اثر سقوطه من علو في داره سبب له نزيفا دمويا)!

كيف يفكر ويتعمق؟

× ويمضي حديث الذكريات مع حارث عن والده المرحوم طه الراوي فيقول:

– كان يملي علي بعض مقالاته فاراه كيف يفكر ويتأنى ويتعمق، فالمقال عنده ليس كالحديث العادي الذي يهدر فيه كالسيل، وكنت اقرأ له، بعد ان ضعف بصره في السنين الاخيرة، في كتب اللغة والادب والتاريخ فكان ينبهني على الخطأ ويشرح لي السبب باسلوبه المبسط المحبب، وكنت في منتصف الاربعينات من الشغوفين بكتابات ادباء المهجر لاسيما كتابات جبران وميخائيل نعيمة فكان يحاورني ويناقشني حول اسلوب ادباء المهجر في الكتابة، ومن المأخذ التي كان يؤاخذ بها جبران تساهله اللغوي وابتعاده عن الاسلوب القرآني في الكتابة. ولكنه لا ينتقص من قيمة افكاره الجميلة السامية، فقد كان يرى – رحمه الله – ان الابتعاد عن الاسلوب القرآني في الكتابة انما هو تشويه لجمال الكتابة واضعاف لتماسك الجمل واهدار لقيم البلاغة العربية.

مع احدى طالباته!

× كان الراوي مربيا يقدر العلم، كثيرا ما تبسط في الحديث مع طلابه عبر الهاتف او من خلال زياراتهم له.. يروي السيد حارث حادثة لا ينساها في هذا المجال:

– في اواخر ايامه اتصلت به احدى طالباته هاتفيا واخذت تسأله بعض الاسئلة في اللغة والنحو، وبينما هو يجيبها بشكل مستفيض ومبسط دخل عليه احد اصدقائه وكان الزائر من كبار تجار بغداد في ذلك الزمان فنهض الراوي احتراما لصديقه ولما جلس الاخير حياه قائلا (الله بالخير) لمدة ربع ساعة! فضاق الزائر ذرعا بهذه المكالمة الطويلة وقال موجها كلامه الى طه الراوي: متى تنتهي هذه المكالمة الطويلة فقد مللت الانتظار؟! واخذ يهدد بمغادرة البيت اذا استمر الراوي في حديثه الهاتفي.. والظاهر ان الطالبة سمعت شيئا من هذا العتاب فاعتذرت عن الاطالة ورجت ارجاء الاسئلة الاخرى الى يوم اخر فقال المرحوم طه الراوي:

– لا تؤجلي سؤالا فالمعاتب رجل لا يعرف قيمة العلم.. عندئذ نهض التاجر غاضبا.

من الرصافي الى الراوي

× في عام ١٩٤٢ عز على الراوي ان يسكت صديقه الرصافي ويكف عن التغريد فنظم قصيدة حض فيها شاعر العراق على العودة الى قرض الشعر. وارسل الراوي قصيدته الى الرصافي بيد صديقه وصديق الرصافي الاستاذ مصطفى علي وفيها يقول:

امصطفى بن علي يا اخا ثقتي
اني عهدتك للاخوان معوانا
انت الصفي اذا الاخوان قد كدروا
انت الوفي اذا ما صاحب خانا
ابلغ مليك القوافي كل خالصة
من التحايا تمج العطر الوانا
ما باله – حرس الرحمن مهجته –
قد اوسع الشعر اعراضا وهجرانا
من بعد ما كنت تسديه وتلحمه
استبرقا مشرق الالوان فتانا
صببت منه على ام العلا حللا
ابهى من السرو في ايام نيسانا
وانت زينة وادينا وبهجته
اذ كنت ترسل الحانا فالحانا
ان قلت قافية عصماء بارعة
ملكت البابنا شيبا وشبانا
اذا تغنيت هز المجد من طرب
عطفيه وانسجمت انغام دنيانا
وان بكيت، بكى الوادي وساكنه
وشاطرتك بنات الدوح احزانا
وجدت ام المعالي جد عانية
عليك، ساهمة الخدين محزانا
عودتها قبل هذا ان تحليها
قلائدا نضدت درا وعقبانا

* ويتذكر حارث:

– يومها اصطحبني الراوي الى بيت صديقه الرصافي في الاعظمية مساء السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٤٢ فرأيت مشهدا لا انساه، فقد كان الرصافي جالسا على اريكة خشبية مغطاة بسجادة قديمة متواضعة ورغم بساطة ملابسه العربية الريفية فقد كان وقورا الى ابعد حدود الوقار، وكان معنا في غرفة الرصافي الاستاذ المرحوم عبد اللطيف ننيان (صاحب جريدة الرقيب التي صدرت في العهد العثماني) وبعد حديث قصير اخرج الرصافي من جيب جلبابه قصيدته الجوابية وانشدها على مسامعنا بصوته الجهوري المتهدج قبل ان يسلمها الى صديقه طه الراوي.

وليست هذه القصيدة هي الدليل الوحيد على الصداقة الوثيقة بين الرصافي والراوي فالرسائل المتبادلة بينهما تزخر بالادلة على ان اقرب صديق الى قلب الرصافي وفكره هو طه الراوي بلا منازع. ويكفي ان يستهل الرصافي رسالته الى الراوي المؤرخة ٢٩ تموز ١٩٣٨ بقوله مخاطبا طه الراوي:

(... انني لا اجد في هؤلاء الناس من اخاطبه بحرية غيركم فانتم علالتي في الحياة الحرة وسلواي من الرجال).

ويكفي ان يستهل الرصافي رسالته الى طه الراوي المؤرخة ٦ آب ١٩٣٨ ببيتين نظمهما تكريما لصديقه الحميم طه الراوي هما:

باي سلام ام باي تحية
اليك ازين اليوم بدء خطابي
فانك اهل للتحيات كلها

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
حزيران 2011

وما انا فيما ادعي بمحاب

× وقد كان الراوي من اوفى الاوفياء لصديقه الرصافي، يسأل عنه ويتفقده ويزوره حتى آخر لحظة من لحظات حياته، ولم يقف وفاء الراوي للرصافي حال حياته وحسب بل كان اول المبادرين في الكتابة عنه على اثر وفاته واول المبادرين في الكتابة عنه بعد مرور عام على وفاته.. فقد عز على الراوي ان يقابل العهد الملكي المباد في العراق ذكرى الرصافي بالسكوت والجحود فنشر مقالا في جريدة – الزمان البغدادية – العدد ٢٥٧٤ الصادر في يوم ذكرى الرصافي (١٦ اذا ١٩٤٦) استهله بقوله:

(في مثل هذا اليوم من السنة المنصرمة افل نجم من المع نجوم الادب واسطعها، افل بعدما حجبته عن الانظار غمامة كثيفة من العقوق القاسي الذي لم يكن بدعا في عالم الادب منذ عرف الادب.

لفظ الرصافي انفاسه الاخيرة وهو شاك باك من جور قومه عليه وعقوق اهله له وهي سنة عرفها اسلافه الافذاذ من اقمار الشعر وكواكب الفضل منذ عصور الجاهلية الاولى الى يوم الناس هذا. قل من اجتاز مراحل الحياة منهم وهو مبسوط الاسارير باسم الثغر، فذاك الملك الضليل حامل لوائهم في صدر جاهليتهم مات بائسا غريبا دامع العين كئيبا، ينشد:

ولو انها نفس تموت جميعها
ولكنها نفس تساقط انفسا

وبقيت سنته فيهم وفي ائمتهم خاصة، جارية على الايام لا تبديل فيها ولا تحويل يتوارثها الاتي عن الماضي ويتلقاها الحاضر عن الغابر، سنة تفتت الاكباد وتفت في الاعضاد وليس لنا تجاهلها الا ان نعتصم بالحوقلة والاسترجاع، ولا مقر للمفجوع الا الاعتصام بهما عند المصائب.. الخ.

كان الراوي مربيا يقدر العلم، كثيرا ما تبسط في الحديث مع طلابه عبر الهاتف او من خلال زياراتهم له.. يروي السيد حارث حادثة لا ينساها في هذا المجال:
- في اواخر ايامه اتصلت به احدى طالباته هاتفيا واخذت تسأله بعض الاسئلة في اللغة والنحو، وبينما هو يجيبها بشكل مستفيض ومبسط دخل عليه احد اصدقائه وكان الزائر من كبار تجار بغداد في ذلك الزمان فنهض الراوي احتراما لصديقه

مجلس الراوي

في اخبار البغداديين !

× وكان للمرحوم الراوي مجلسه كعادة ايام زمانه، اختار له يوم السبت يستقبل فيه ضيوفه، ولعل اصدق وافضل من وصف مجلس الراوي هو المرحوم ابراهيم الدروبي في كتابه (البغداديون – اخبارهم ومجالسهم) حيث قال في ص ١٨٨ من كتابه هذا ما نصه:

(كان له مجلس عامر يرتاده العلماء والادباء والكبراء، تبحث فيه المشاكل العلمية والطرائف الادبية وتسمع فيه اخبار السالفين وتقص انباء الراحلين فهو اشبه بمجمع علمي او منتدى ادبي او محفل سياسي..)

× ويبقى سؤال آخر.. هل حقق الراوي كل طموحه في الحياة قبل غروبه؟

يقول حارث:

– اذكر ان احدى جرائدنا المحلية سألت طه الراوي في منتصف الاربعينات ما هي رسالتك في الحياة؟ فاجابها بالحرف الواحد: خدمة العلم حتى الموت..

فقد كان اقصى ما يتمناه ان يصبح عالما ولما بلغ هذه المرتبة السامية وضع علمه في خدمة الجيل، وقد ادرك – رحمه الله – بفكرة الناقب ان العالم الحقيقي انما يتمتع بقيمة ثابتة وان المناصب لا تزيد في هذه القيمة وانما قد تنقص منها، ولهذا قصر طموحه على الاستزادة من العلم والمضي في خدمة الجيل بعلمه.. لم يكن يشعر بالغبن لانه هو الذي اختار مهنة التدريس وآثر حياة التعليم على غيرها.

الابن يعترف:

× وانا اختتم حديثي معه – اعترف حارث طه الراوي ، انه لم يدرس والده مربيا ومؤرخا وفقيها مفسرا رغم انه تناول طه الراوي في كتاب صدر بالقاهرة سنة ١٩٥٦ ولم يتناول فيه كل شخصية ابيه.

× ولكن لماذا؟

عذري ان اطلاعي لم يكن كافيا على نتاج الرجل في هذه الجوانب.

ولما كلفني الاستاذ محمدية صاحب دار العودة ببيروت بتاليف كتاب مبسط عن طه الراوي اروي فيه قصة حياته للناشئة حاولت ان اتلافى ما فاتني في كتابي الاول عنه من نواقص.

ان دراسة الراوي كفقيه مفسر مثلا، تكتسب اهمية خاصة لا لالمامه الواسع بالفقه الاسلامي ومذاهبه ودقائقه ولا لاطلاعه الواسع على مدلولات الالفاظ ومراعي الجمل في هذا المجال وحسب بل لارائه الشخصية ذات الطابع الابداعي ايضا ومنها التي خالف فيها كبار الائمة المفسرين كاختلافه مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده – رحمه الله – حول المراد بالمؤمنين في بعض ايات القرآن الكريم.

موعد مع القدر

كان المرحوم طه الراوي يكتب في جريدة الزمان البغدادية مقالا اسبوعيا ينشر صباح كل يوم سبت، ولاسباب تخص الجريدة تاجل مقاله الذي كان من المفروض ان ينشر يوم السبت الموافق ١٩٤٦/١٠/١٩ وموضوعه: "فلسطين" وفي صباح يوم ١٩٤٦/١٠/٢١ نشر ذلك المقال ولكن طه الراوي توفي في نفس التاريخ ولم ير مقاله منشورا.. وكان تأجيل نشره موعد مع القدر.

مجلة الف باء / نيسان 1974

أثر الراوي في الحياة العلمية

منير القاضي

إن لصديقي العزيز بل اخي الصديق أثرا عظيما في الحياة العلمية في العراق، خصوصا ما يتعلق منها بالثقافة العربية والأدب العربي.

انتهت الحرب العالمية الأولى ونشأت في العراق حياة سياسية جديدة بدأت بالعمل في تأسيس الثقافة في البلاد وكان اول شيء قام به أولو الأمر إذ ذاك ان انشأؤوا مدرسة للمعلمين ليقوم خريجوها بتأسيس المدارس وبناء اساس للحياة العلمية في العراق.

لقد اجتمع في هذا المعهد زمرة ممن هم في دور البدء بالنضوج العلمي وكان المرحوم العزيز في مقدمتهم، واستمر المعهد مدة قصيرة زود فيها اولئك الطلاب بما تمس اليه الحاجة في ذلك الوقت، لإنشاء المدارس. وبعد تلك المدة القصيرة تفرق المتخرجون في انحاء بغداد لتاسيس المدارس وكان المرحوم في مقدمتهم فبذل جهدا عظيما في بث الروح العربية بين طلابه الشباب ونشر الأدب العربي في محيطهم ولم يمر إلا نحو من سنتين حتى نقل الى التدريس في دار المعلمين الجديدة التي وضعت على أساس قوي واستقدم لها مدير واساتذة من مصر فكان الاستاذ المرحوم بارزا بينهم، وقد حمل على عاتقه خدمة اللغة العربية وادبها الصحيح. وبقي مثابرا على التدريس في هذا المعهد عدة سنوات تخرج فيها على يديه جماعة كبيرة من المعلمين انتشروا في القطر العراقي باثين ما حملوه عن استاذهم الجليل من المبدأ العربي والثقافة العربية والأدب العربي، فكانوا مبشرين في سائر القطر العراقي بالثقافة العربية، ناشرين اعلامها بين الشباب.

وبذلك اصبح لدراسة اللغة العربية دراسة صحيحة مقام ملحوظ ولم يكن رحمة الله عليه مكتفيا بما يلقيه من الدروس في معهده بل كان قد جعل بيته معهدا لتلقين الأدب العربي والثقافة العربية، فكان ليل نهار مشغولا بهذا الامر الذي عاهد الله على ان يكون في مقدمة القائمين بنشره خدمة للقومية العربية واداء للواجب المقدس، وقد بر بما اراد قولا وفعلا.

وبعد ان قضى سنين في مسلكه المحمود وظهرت فضائله بارزة للعيان رفعته الوزارة استاذا في دار المعلمين العالية بعد ان امضى فترة من الزمن في بعد الوظائف الادارية التي كان لا يرغب فيها بل كان يزهدها ويرغب في خدمة العلم والثقافة.

لهذا لما عزمت وزارة المعارف على إنشاء دار المعلمين العالية لم تجد احداً اكثر منه كفاية في تدريس الأدب العربي العالي في تلك الدار فانتدبته استاذا لهذا الفرع المهم فقام رحمة الله عليه بمهمته خير قيام، بل إنه طور تدريس الأدب العربي في الدار الى شكل جديد، فكان الطالب يتلقى ويسمع منه الأدب العالي ممزوجا بالاراء الصائبة في التفسير والحديث الشريف علاوة على ما كان يتلقاه منه من بديع المسائل في اللغة والبلاغة وسائر فروع العلوم العربية. وقد تخرج على يديه اساتذة يحملون روحه القوية العالية ويحذون حذوه فيما نصب نفسه إليه من خدمة الأدب العربي.

فالعراق بشبابه والكثرة من كهوله مدين في التعرف بالادب العربي للاستاذ الكبير الجليل المرحوم السيد طه الراوي. رحمة الله عليه ورضوانه.

وليس في وسعي بهذه العجالة ايها الصحفي الكريم ان اتوسع وانثر لك جميع ما اعرفه عن فضائل اخي وصديقي المرحوم لانك احرجتني وطلبت مني كلمة عجلى وفاجأتني بهذا الطلب، غير ان تقبل مني رجاء في الأمر إلى يوم آخر.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

في رثاء الأستاذ طه الراوي

د. زكي مبارك

في الأسبوع الاسبق ارسل الملحق الثقافي بالمفوضية العراقية خطابا بالبريد المستعجل الى ادارة "الحوادث" يدعوني فيه الى نظم قصيدة تلقى في الحفلة التي تقيمها دار المعلمين العالية في بغداد تأبيناً للاستاذ طه الراوي، ويظهر انه اختص "الحوادث" لاني جعلتها ديوان اشعاري.. وقد نظمت جزءاً من القصيدة في مصر الجديدة وجزءاً في الاسكندرية. فجاءت مزاجا مكونا من سكون الصحراء وهدير الامواج.

وفي القصيدة إشارة الى خسوف القمر. ولذلك تأريخ عجيب، فحين زارني الاستاذ الراوي في سنتريس ومعه الاستاذ عبد الجبار الجلبي انتهت السهرة بخسوف القمر فتشاءمت، وفي الليلة التي اتممت فيها القصيدة وانا في الاسكندرية خسف القمر فتعجبت.. هل يكون هذا التوافق دليلا جديداً على صحة نظريتي في القول بوحدة الوجود.

ان حفلة التأبين ستقام يوم الجمعة، وقد ارسلت القصيدة بالبريد الجوي لتلقى في الحفلة، وانا انشرها في "الحوادث" لتظهر قبل الاحتفال بيومين، وهي تحية لرجل عظيم كان وكيل وزارة المعارف العراقية يوم كنت انا استاذ الاداب العربية بدار المعلمين العالية في بغداد. كان منزل الاستاذ طه الراوي منزل الاساتذة المصريين، وقد اكرمنا جميعا، اكرمه الله، وجعل الجنة مثواه، إنه قريب مجيب.

×××

فجعت بألطف العلماء روحاً
وافصحهم اذا اشتجر الجدال
اديب لا يساميه اديب
له في كل معضلة مقال
أ "طه" مات؟ لا تبكوا عليه
ففي روض الخلود له مجال
جوار الله افضل من جوار
بأرض كل ما فيها محال
ذكرتُ لقاءنا في سنتريس
ونحن بذلك الوادي جمال
لقد خسف الهلال فكان رهصاً
بموت سوف يعرفه الهلال
لقد مات الهلال هلال "طه"
وغاية هذه الدنيا زوال
أ "طه" مات؟ لا أدري، فإني
أكذب كل يوم ما يقال
نعى ناعيه اشواقي اليه
واعجب كيف تنصدع الجبال
إذا مات الصديق فكل روح
بهذي الدار في الدنيا خيال

×××

صديق مات، ما أسفي عليه
وقد فنى الزمان فلا زمان
أكان، الأمس يوماً ثم ولى؟
ويوم غد ايصحبه مكان؟
أراني لا أرى إلا طيوفاً
تجول بأنفس فيها طعان
جراثيم تقاتلنا صحاحاً
كخيل السبق يقتلها الرهان
يقول الغافلون، ولست منهم
بأن الخيل ينجدها الحسان
غضبت على زماني لا زمان
فما شيء بذي الدنيا يصان
دماء المؤمنين تراق عمداً
فليس لها – وقد كرمت – أمان

×××

ياسمي النبي لا الدار دار
حين تنعى لنا ولا العهد عهد
خطرة أنت من لطائف روح
لن ترى مثلها الخلائق بعد
اريحي الطباع فاض سناه
كالذي يصنع الحسام الفرند
ماجد اطنب المعزون فيه
من ثناء يعد او لا يعد
قد سكتنا فما رثيناك حزناً
ان بعض السكوت في الحزن حمد
أي قبر حواك يا صنو قلبي
كل روح لطيب روحك لحد
مابكت ادمعي عليك ولكن
قد بكى القلب وهو للحب مهد

×××

بغداد مات عظيم لا يطاوله
في ساحة الخلد إلا روح بغداد
لو كفنوه باحلام الربيع غدت
اكفانه في هيام الظامئ الصادي
طه، امت؟ اجبني، كيف؟ لا عجب
إن السيوف الى اجفان اغماد
مامت، هل مت إلا كي يطيب لهم
حسام فضلك طعم الماء والزاد

×××

بغداد يا بغداد
يادارة الميعاد
هذا حبيبك ملقى فوق اتربة
كما تلوذ بظهر الارض ازهار
لم يتجه فضله من موته فهوى
بعض الفضائل للامجاد اعصار

×××

ذكرت "طه" واشواقي تحدثني
بانه غائب عني الى حين
إن التقينا فدار الخلد مرجعنا
ما يحمل الخلد إلا بالرياحين
إذا اثمت فصارت دارتي سقرا
فسوف يحمل آثامي ويفديني
معطر الروح بالاداب عالية
والزهر في دوحه بعض الافانين
الذوق والعقل مجموعان في رجل
اعزه الله بالدنيا وبالدين

×××

لا تسألوني عن "طه" ومنزله
والكرخ دار له من بعد بغداد
أكاد أنسى فلا والله ما نسيت
روحي لطائفه في ذلك النادي
يهفو الضيوف الى ساحات منزله
ليسمعوا صوت ذاك الباغم الشادي
اين الطعام وقد فاضت اطايبه
من صوت روح بنور العقل وقاد
طه، اجبني ، اجب هل مت هل ذهبت
تلك الخصال الى آباد آباد

×××

هذا قصيدي الى بغداد أرسله
من نور قلبي ومن نيران احشائي
إني لديها مقيم، والجوى قبس
فيه حياة لمقتول النوى نائي
يوم العروبة يوم الجمعة احتشدت
فيه القرائح تبكي ذلك الطائي

×××

يا قصيدي لك ثار
عند ابناء العراق
يا قصيدي بك نار
شبها ذاك الفراق
لو ناب عني الشبيبي في تحيته
لكنت اغمدت يوم الحزن اشعاري
قالوا الشبيبي بكى عني فقلت لهم
بين الشبيبي وبيني ألف مضمار
القول منه قصيد حين يلفظه
غن الزئير قصيد الضيغم الضاري

عن كتاب طه الراوي
الصادر في القاهرة 1965

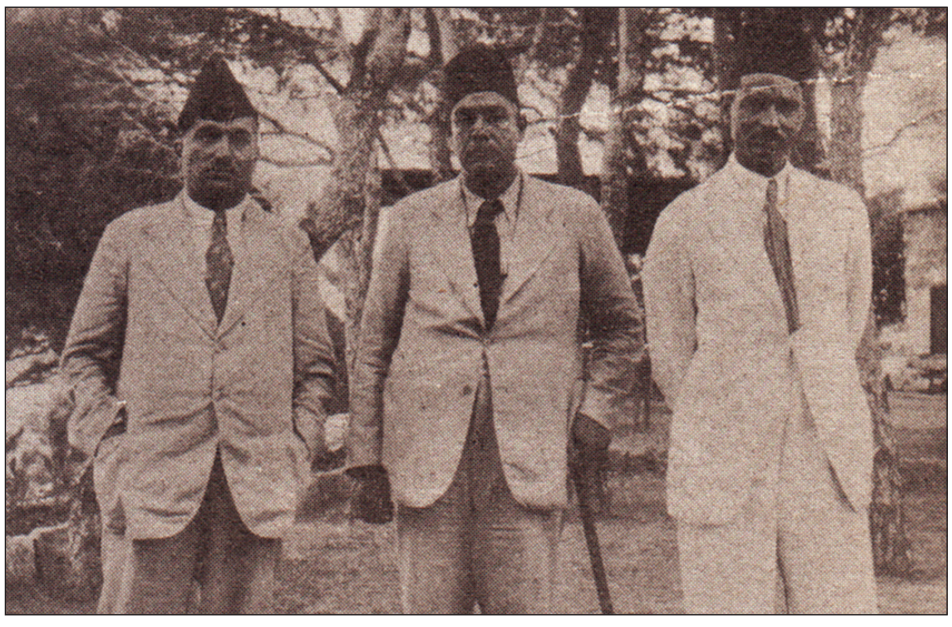

طه الراوي.. استاذ الادب العربي

د. عبد الوهاب عزام

كنت منذ ساعتين في احتفال للجامعة العربية فلقيت صاحب الفخامة السيد جميل المدفعي فوقفت احدثه، ورايت ان نتحدث عن العراق. فبدات بأحب الذكريات الى نفسي، واقر بها الى قلبي. فقلت : كيف السيد طه الراوي ؟ فأجاب بصوت لا أكاد اسمعه: " لا اقدر على ان اخبرك خبره" واشار اشارة لم اتبينها. فحسب انه يعني ما عرفت من قبل من ضعف بصر الأستاذ الراوي. فقلت : قد لقيته في القدس منذ ثلاث سنوات وفي دمشق منذ سنتين، وكان يشكو ضعف بصره. ولكن كيف هو ؟ فقال السيد جميل والاسى يملك عليه صوته : قد مات. وسكت وسكت. وا اسفا ! وا حسرتا على الصديق الحميم، السيد النبيل، العالم الجليل الاديب المتبحر. وا حسرتا للخلق الكريم، والنفس الذكية، المحببة الى كل من عرفها، والقريبة الى كل من سمع عنها.

والله ما ذكر في مجلس من معارفه الا اجتمعت القلوب على حبه، والالسن على مدحه، وما ذكرته عند من يعرفه في مصر والشام بله العراق الا كان الجواب ثناء عليه واعجابا بعلمه وادبه، واكبارا لخلقه.

عرفت الاستاذ- اوسع الله له في رحمته، واجزل لاله واخوانه وتلاميذه الصبر والعزاء – منذ عشر سنين ولقيته في بغداد، والقاهرة. والقدس، وفي مدائن من سورية ولبنان، وراسلته على البعد، وجالسته طويلا، وتحادثنا في العلم والادب والسياسة والاجتماع والاخلاق وفي امور شتى. فما عرفته الا ذكيا عالما اديبا فاضلا، لايتكلم في موضوع الا افاض فيه اضافة المحيط بأطرافه، المتمكن منه، المتثبت فيه، وكم قلت في حضوره وغيبته اعترافا بالحق : " ما يجلس احد الى الاستاذ طه الا استفاد من فلسفته " واشهد اني ما حضرت مجلسا له في داره أو في غير داره الا فرحت بمجلسه وانست به واصخت الى حديثه وهو يصرف الكلام في شجونه، وينقل الحديث في معارفه الواسعة وتجاربه الجمة. وكنت اصغي اليه، واعجب فيما او افقه فيه وما اخالفه. ونذر ان خالفته، وما اذكر اني جادلته او ماريته قط. بل كنا نلتقي التقاء صديقين تقاربت قلوبهما وعقولهما، ومعارفهما، وعواطفهما، واراؤهما. وما لقيته اوكتبت اليه او حملت احدا اليه رسالة، او بلغت عنه قولا او خبراً إلا فرحت وهششتُ، والتمست السرور في ذكراه، وحاولت ان اسره بكلمة من الجد او المزاح يسمعها او يبلغها.

وقل ان صادفت احدا فوثقت به، وسكنت إليه، وانست به حاضراً، وبذكره غائبا كالصديق الكريم العزيز المفتقد السيد طه الراوي.

وقد اردت هذا العام أن احقق مقصد الجامعة العربية في تزاور الاساتذة في البلاد العربية، وفكرت في أن ادعو ادباء العراق والشام لزيارة جامعتنا والمحاضرة فيها. فكان الاستاذ الراوي أول من ذكرته وأول من ذكره لي من اشتشرته في الشام ومصر.

وما قدرت ان الموت يسبقنا اليه. ويستأثر به، ويحرمنا منه ويصيبنا فيه. اي خسارة للأدب! وأي رزء للاخوة، وأية حسرة للصداقة، وأي مصيبة للخلق الكريم.

أي نعي فادح، ونبأ قاسم، نعي السيد الراوي الى اصدقائه واخوانه وتلاميذه ومعارفه.

يا صديقي العزيز لك رحمة الله، ولإخوانك اللوعة والحسرة، والأسى والحنين والافتقاد والبكاء عليك، ثم لهم الصبر والتأسي.

يا صديقي النبيل! هذه كلمة يدفعها الحزن ويصدها ويمدها الأسى ويقبضها، وتطيلها اللوعة وتقصرها. ففي النفس معان تستعصي على اللفظ وعلى اللسان الفاظ ينوء بها القلم ، في القلم اضطراب لا يقره واقفا ولا يتركه سائراً. فليجف المداد، ولتسل الدموع يا صديقي.

وقفت الحيرة بقلمي هنا. فرحمك الله .. رحمك الله.

عن كتاب طه الراوي / القاهرة 1965

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
حزيران 2011

رجال لا يكررون

طه الراوي أستاذ الأساتذة

عبد الحميد الرشودي

القدس اوتيل الملك داود عام ١٩٤٣ ، طه الراوي ومعه الدكتور محمود فوزي ومحمد عوض وعبد الوهاب عزام واخرون

لقد اطلق على طه الراوي القاب كثيرة منها: العلامة، واستاذ الجيل وحارس الفصحى ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها ان طه الراوي والنخبة الفاضلة من امثاله – وقليل ما هم – اكبر من الالقاب مهما سمت والشهادات مهما علت.

واذا لم يكن من تلقيبه بد فاني ارى خير لقب له هو: استاذ الاساتذة فان جل المدرسين والمعلمين خلال ثلاثة عقود قد مروا من بين يديه وصنعهم على عينيه ونهلوا من علمه الغزير وادبه الوفير وتخلقوا بخلقه الحسن ولا شك ان المدرس يكون للطالب قدوة صالحة واسوة حسنة يتأسى به طلابه وينسجون على منواله في نشر العلوم ومكارم الاخلاق لقد حمل هؤلاء الطلاب النجباء هذه الراية فابلغوا الرسالة وادوا الامانة على افضل واكمل ما تؤدى الامانة فلا غرو ان هذه الاجيال الصاعدة التي اخذت عنهم تدين لهم بالاستاذية وهم بدورهم يدينون لاستاذهم الاول طه الراوي فحق علينا والحالة هذه ان نلقبه باستاذ الاساتذة غير منازع ولا مدافع ان طلاب طه الراوي يفوتهم الحصر ويخطئهم العد فمن اوائل طلابه الذين اخذوا عنه في معهد المعلمين ١٩١٩-١٩٢٢، نذكر على سبيل التمثيل لا التحصيل:

١- مصطفى علي – اول وزير للعدل بعد ثورة ١٤ / تموز /١٩٥٨ .

٢- سعد صالح – وزير الداخلية في الوزارة السويدية الثانية ١٩٤٦ الذي اطلق الحريات العامة واجاز خمسة احزاب سياسية كانت كلها تتبنى سياسة معارضة وهي ١- الحزب الوطني الديمقراطي، ٢- حزب الاستقلال، ٣- حزب الاتحاد الوطني، ٤- حزب الشعب، ٥- حزب الاحرار.

ومن حكمة سعد صالح وبعد نظره انه اصدر اجازة الاحزاب الخمسة جميعها بتاريخ واحد هو ٢ نيسان ١٩٤٦ قطعا لدابر القال والقيل، هذا واحد من غراس طه الراوي وله امثال واقران كثر.

٣- روفائيل بطي – اختير وزيرا بلا وزارة لشؤون الصحافة في وزارتي محمد فاضل الجمالي الاولى والثانية وهو المع صحفي عرفه العراق سما الى الوزارة بعلمه وادبه لا باتباعه واشباعه من عشيرته.

٤- جمال الدين الالوسي – الادبي والمؤلف المعروف.

٥- ايوب صبري الخياط – المربي والاداري.

اما طلابه من خريجي دار المعلمين العالية فيكفيه فخرا ان يكون من طلابه علي جواد الطاهر صاحب المدرسة النقدية وابراهيم السامرائي الفقيه اللغوي والمحقق التراثي وعاتكه وهبي الخزرجي الادبية الشاعرة، حدثني المرحوم المحقق عبود الشالجي قال كان طه الراوي يدرسنا في الثانوية المركزية وكان يعيرني بعضا من كتبه لاقرأها وقال الشالجي عندما صدر الجزء الاول من كتابه الاغاني عن دار الكتب المصرية اعارنيه ثم قال لقد كان طه الراوي اديبا من مفرقه الى اخمص قدمه.

ومن امارات خلقه الرضي وكرم نفسه انه كان يعير الرصافي ما يحتاجه من المراجع التاريخية والادبية لان الرصافي لم يكن يملك مكتبة خاصة به.

ولد طه الراوي سنة ١٨٩٠ في مدينة عانه التي يفصل بينها وبين راوة الفرات اما والده صالح الفضل فينتمي الى حسين عبد الله الملقب بساهوك ومنه تكونت عشيرة السواهيك وهم كاهل راوة سادة حسينيون كما هو ثابت في مشجر نسبهم.

بدأت رحلة طه الراوي في طلب العلم سنة ١٩٠٥ قاصدا بغداد فاتصل بمدارسها التي كات تقام في المساجد ثم انتهى به المطاف الى مدرسة الحيدرخانة التي كان يتصدر التدريس فيها العلامة محمود شكري الالوسي الذي حظي عنده بمنزلة كريمة وذلك لما لمس فيه من مخايل الذكاء والفطنة ولما اعلن النفير العام "سفر برلك" شفع له الالوسي وحصل له على اعفاء من الالتحاق بالجيش واقتصروا على اسناد وظيفة تعليمية له وذلك بسبب ضعف احدى عينيه.

حدثني المرحوم ناجي القسطيني وكان صديقا لطه الراوي قال اتخذ طه من المدرسة العمرية دار اقامة له منذ كان طالبا الى ان صار معلما والمدرسة العمرية هي من منشآت والي بغداد عمر باشا ابتناها لاحد مشايخ الصوفية ثم اقام فيها بعد حين ابو الثناء الالوسي وفيها كتب مقاماته وقد ذكرها بقوله وقد لزمت الاقامة في المدرسة العمرية الواقعة في جانب الغربي شرقي جامع القمرية.

وقد اتخذت المدرسة العمرية مقرا لمدرسة الكرخ الابتدائية ابان تأسيس الحكم الوطني في العشرينيات من القرن الماضي ثم اهملت فاستاجرها صانعو اسرة السعف (الجريد) في الاربعينيات.

تدرج طه الراوي في سلم الوظائف وانتقل الى وظيفة رئيس كتاب في مجلس الاعيان ثم اختير في شهر آب ١٩٢٦ مديرا للمطبوعات العربية في وزارة الداخلية ثم عين امينا لسر مجلس الاعيان في عهد رئاسة يوسف السويدي، ثم اختير سنة ١٩٣٧ لمديرية المعارف العامة وبعدها عاد الى وظيفته الاثيرة لديه الحبيبة الى نفسه مدرسا في دار المعلمين العالية فمكث فيها الى ان اختاره الله الى جواره صباح يوم الاثنين ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٤٦.

كان رحمه الله جنديا باسلا يذب عن حياض العربية الفصحى عادية المعتدين ومن امارات حرصه على اللغة العربية والحفاظ عليها ما حدثني به زميلي مدرس اللغة العربية المرحوم حسين علي الخلف وكان من دورة ابراهيم السامرائي قال بينما كان طه الراوي يشرح قاعدة نحوية ويبين حرص النحاة على سلامتها انبرى احد الطلاب فقال بسخرية ولم هذا التشدد مستعملا العبارة العامية (اشدعوه) فاجابه طه الراوي بغضب انت لا تصلح ان تكون مدرس لغة عربية اعتبر نفسك راسبا في مادة النحو منذ اليوم وفعلا قابل طه الراوي عميد الدار الدكتور العقراوي فاستجاب لطلبه فاعد الطالب السنة الدراسية وقد صدق فيه حدس الراوي فان هذا الطالب بعد تخرجه بذل ماء محياه للحصول على وظيفة ادارية ولم يستطع ان يواجه الطلاب وظل قابعا كما صور مكتبة في احدى الوزارات الى ان قضى نحبه غير مأسوف عليه جراء قلة ادبه وسوء خلقه هذا هو طه الراوي وهذا موقفه من الطلاب العقاقة اما موقفه من الطلاب البررة فكان الموقف الابوي المشفق فقد كان يرعى ابراهيم السامرائي ويشجعه على المضي في الدرس والبحث حتى صار عالما من اعلام اللغة وفقهائها والمعدودين وغيره كثيرون رحم الله طه الراوي كفاء ما اسدى للغة العربية من الحفاية والرعاية.

2011/7/7

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

الرسائل المتبادلة بين الرصافي والراوي

١١ تموز ١٩٣٨

سعادة الاستاذ الفاضل السيد طه الراوي المحترم لااقول «السلام والتحية» لاني اكره المحاذيف بل اقول عليك السلام ولك التحية. اكتب اليك وانا تحت طخارير من سماء الفلوجة تنفث شواظا يشوي الجسوم ونحن على الارض مستلقون كسفافيد على مفتأد. ان العجز المالي قد اقعدني في هذا العام عن ارتكاب فاحشة الاصطياف في سورية فويل ثم ويل للعاجزين عن هذه الفاحشة.

سيدي: ارجع اليك في مسألتين احداهما من مالك والاخرى من مال الله. اما الاولى فهي انني اليوم اكتب الكلام اذ كنت في اسر تتبعها ايام ابتليت بجنون طلب العلم، هو ان قدرة الله لا تتعلق بالمحال. وحقيقة هذه العبارة ان الله غير قادر على المستحيلات إلا انهم احسنوا التعبير تأدبا فقالوا ان قدرة الله لا تتعلق بالمحال. وليس عندي إلا كتب معدودة نصفها لك ونصفها لمصطفى علي. فرأيت ان ارجع اليكم في هذه المسألة عملا بقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. فارجو ان تكتب الي شيئاً موجزاً عنها بعد الرجوع فيها الى ما عندك من كتب القوم.

واما الثانية فهي ان كتابي هذا يأتيك به معلم من اهالي الفلوجة اسمه امين وليس هو بمعلم في مدرسة الفلوجة بل في مدرسة اخرى من مدارس البلاد النائية. وبذلك قد قضى في البعد عن اهله وذويه زمنا غير قليل فعسى ان تمن عليه بنقله في هذا العام الى مستقر اهله وذويه وليس في هذا ما يصادم مصلحة الله اعني المصلحة العامة!! هذا ما اطلبه من مال الله وانا في انتظار ما طلبته من مالك والسلام عليك والحمد والشكر لله ثم لك.

المخلص
معروف الرصافي

من الراوي الى الرصافي
وزارة معارف العراق
بغداد في ١٢ تموز ١٩٣٨

اخي الاستاذ المفضال السيد معروف الرصافي افرغ الله سحاب عافيته عليه وامده بفيض عنايته وحسن رعايته.

سلام الله عليك واحمده اليك:

اما بعد فإني تلقيت بيد السرور كتابكم الكريم المؤرخ ١١ تموز ١٩٣٨، الذي اشرتم فيه إلى مطلبين. وابدا بالطلب الثاني وهو نقل المعلم امين عبوش الى مقر اسرته في الفلوجة وهو امر سهل وسيتم (ان شاء الله تعالى) في فاتحة السنة المقبلة. اما الامر الأول الذي عددته من مالي والحقيقة انه من مال الله، والله وحده يؤتي الحكمة من يشاء، وسواء اكان من مالي او من مال الله فان الفكر في هذه الواقدة المتأججة اعجز من ان يرتقي الى متناول امثال هذا البحث العويص واني لا ابالغ اذا قلت ان فكري بعد الاعمال الرسمية اليومية ليعجز عن اتمام ابسط المقالات في الصحف اليومية وانت تعلم ان الحر من فيح جهنم ولا ادري كيف يمكن بمن يتقلى في فيح جهنم ان يتعرض لأمور من غامض علم ما وراء الطبيعة، وعلى هذا ارجو ان تسمح لي بارجاء الكتابة بهذا الموضوع الى ان يخفف الله عنا شيئا من هذا العذاب واذا كنت جد راغب في التعجيل فاني مستعد لارسال المراجع التي يمكنك الاستعانة بها في هذا الموضوع. واذا كنت تسمع نصيحتي فاني ارجح ان تترك الحوض في هذه المتعبات القليلة الثمر ان لم تكن عديمته ولاسيما في هذا الفيظ المضطرم الاوار وجسمك في حاجة الى الراحة ولا راحة مع اشغال وعلى كل فاني انتظر امرك والسلام عليك من اخيك:

المخلص
طه الراوي

××××

(من الرصافي الى الراوي)
٢٩ تموز ١٩٣٨

سعادة الاستاذ السيد طه الراوي المحترم

سيدي الاستاذ الفاضل: انني لا اجد في هؤلاء الناس من اخاطبه بحرية غيركم فانتم علالتي في الحياة الحرة وسلواي من الرجال. ولقد اخذت بنصيحتكم إلي في ترك تلك المباحث الكلامية التي لا يحصل الانسان منها على نتيجة مقبولة ولا يصل الى غاية مستقرة ثابتة. ولكني اليوم بالرغم من سقم اكابد عقابيله واداويه مشغول بكتابة فصل عن اسلوب القرآن المجيد فاسأل الله التوفيق:

سيدي: يقدم كتابي هذا اليكم ذلك البأئس الذي شكوت اليكم بؤسه فأمرتم باستخدامه رئيس عمال في ابنية المعارف واسمه مهدي بن صالح فهو الى اليوم يشتغل هناك ليعيش ويدعو لكم ويشكركم كما ادعو لكم انا واشكركم. وقد جاءني في هذه المرة يشكو من مهندس هناك يحاول اقتلاعه من مركزه فأرجو ان تعطوه بطاقة توصية الى المهندس لكي يكف عنه اذاه وما ذلك من لطفكم ورأفتكم ببعيد. هذا وتفضلوا بقبول دوام احترامي لشخصيتكم الحرة.

المخلص
معروف الرصافي

×××

(من الراوي الى الرصافي)
وزارة معارف العراق
بغداد ٣ آب ١٩٣٨

سلام الله ورحمته وبركاته عليك

اما بعد. فقد وصلني كتابكم على يد مهدي بن صالح واني لأجد ارتياحا وانشراحا في تلاوة كتبكم واشعر بلذة نفسية عندما استعرض المعاني التي تستهدفونها والمقاصد التي تومون اليها. سررت جدا لما اشرتم اليه من اتجاهكم الى الكتابة في اسلوب القرآن المجيد واني لأرجو ان يجر الكلام بعضه بعضا ويتكون من الفصل فصول تدق كلها حول البلاغة القرآنية على وجه العموم لا الاسلوب على وجه الخصوص لأني اعتقد ان الاقتصار على بحث الاسلوب سيجر حتما الى درس ما حوله من المعاني البلاغية وفي الحق ان لهذا الموضوع مكانة ولاسيما في هذا الزمن الذي يتحسس في ابناء العروبة بوجوب التعاون لرفع مستوى اللغة والنهوض بها الى ما ينتظرها من المراتب وان كتابا يسيل به قلمكم في هذا الموضوع سيكون له شان على الدهر يذكر.

وسأنتهز الفرصة لزيارتكم في معزلكم ولم يكن المانع من تعجيل هذه الزيارة إلا الخوف من ازعاجكم في هذا الحر اللافح وسأصحب معي السيد مصطفى علي فارجو ان تامروا بما ترغبون فيه من خدمة.

آلمني جدا ما أوماتم اليه من بقايا المرض التي تكابدون آلامها واني لأرجو ان يسبغ الله عليكم ثوب عافيته ضافيا وافيا كما التمس اليكم ان تعتصموا بالحمية التي هي رأس الشفاء. اما مسألة مهدي صالح فسهلة جدا اذا كان المقصود تناول الاجرة كاملة واما ان يتولى مسؤولية رقابة او صرف فامر خارج عن حاجته بل يضر بمصلحته ولذلك كررنا الوصية بشأنه فلا يستطيع احد من اقتلاعه من مركزه إلا اذا اراد هو ان يقلع نفسه بنفسه.

هذا وسلامي عليكم بقدر شوقي اليكم.

طه الراوي

(من الرصافي الى الراوي)
٦ آب ١٩٣٨

سعادة الاستاذ الفاضل السيد طه الراوي المحترم ..

بأي سلام ام بأي تحية
اليك أزين اليوم بدء خطابي
فإنك أهل للتحيات كلها
وما أنا فيما ادعي بمحاب

جاءني كتابكم مبشرا بازعامكم المجيء الى الفلوجة مع مصطفى علي، فأهلا بمن احبهما محبة اجلال وتعظيم.

ولابد ان يكون ذلك في يوم جمعة لأن اشغالكم تمنعكم من المجيء في غير ذلك اليوم. فليكن في الجمعة الآتية وليكن قدومكم صباحا لنتمتع بلقائكم ببياض النهار وان شئتم ان تقضوا عندنا سواد الليل ايضا فلكم الراية البيضاء. تعلمون ان منزلي في الفلوجة لا بأس به وان هذا الحر المتوهج لم يبق مزية لمنزل على منزل. وحبذا لو جئتمونا بشيء من الرطب الجديد لنقتل بحلاوته مرارة ايامنا الحارة فقد بلغني ان

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
نيسان 2011

حرب المعيشة في اسواق بغداد قد لفحت به.
هذا. وانا في انتظار قدومكم.

المخلص
معروف الرصافي

(من الرصافي الى الراوي)
٢٥ نيسان ١٩٣٩
سيدي ابا هاشم المحترم
يئست من زيارتكم بعد انتظارها مدة. انا من آلامي في عذاب مستمر وهي في ازدياد غير منقطع لقد ضاقت بي الحياة حتى اصبحت انادي ألا موت يباع فأشتريه. أشار علي طبيب الفلوجة بعمل (كونصولط) من قبل الاطباء الذين باشروني بالمداواة لاتخاذ طريقة حاسمة لتخفيف الآلام علي وتوقيفها على الأقل. ولا ريب ان ذلك يحتاج الى مال وقد نفدت الدراهم عندي فلا املك منها شيئا. ولا املك من حطام الدنيا سوى الكتاب الذي تعرفونه. وقد رأيت ان اعرضه للبيع بجميع حقوق تأليفه وحقوق طبعه ونشره وهممت ان اكتب بذلك اعلانا لبعض الجرائد اليومية ولكني توقفت ورأيت ان استشيركم قبل ذلك في الأمر فهل ترون ذلك مناسبا ارجو ان تكتبوا برأيكم فيه. هذا وأرجو ان تكلموا الاخ مصطفى علي بالتلفون وهو في المدرسة وتطلبوا منه ان يرسل الي الدفاتر التي عنده من الكتاب والسلام عليكم من صديقكم المخلص.

معروف الرصافي

××××

(من الرصافي الى الراوي)
١ أيار ١٩٣٩

سيدي الاستاذ أبا هاشم المحترم
سلام واحترام وبعد فقد اخذت كتابكم الذي تقولون فيه انكم ستراجعون وزارة المعارف في قضية شراء الكتاب اما انا فلا اظن وزارة المعارف تشتريه وكيف تشتري كتابا لو طبع لمنعته بلا شك. انني يا سيدي مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله ايمانا يراه اكثر الناس كفرا «وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله» فكتابي هذا فيه ما تراه عامة الناس كفرا فكيف تشتريه وزارة المعارف. والكتاب لا يهم المسلمين فقط بل يهم اهل الملل والنحل اجمعين فالذي يشتريه على ما ارى اما تاجر كبير من تجار الكتب واما رجل مثر ذو ثقافة عالية حرة يهتم بمثل هذه الكتب وما لا ريب فيه ان الذي يشتريه وينشره يربح ربحا عظيما لانه يباع في جميع الاقطار ويشتريه المسلم وغير المسلم. هذا ولا تكلفوا نفسكم عبئا بمراجعة وزارة المعارف واذا استطعتم ان تجدوا الى طريقة اخرى فانا لكم من الشاكرين.

المخلص
معروف الرصافي

××××

(من الرصافي الى الراوي)
٢٣ كانون الثاني ١٩٤١

سعادة الاستاذ الفاضل السيد طه الراوي المحترم
سلام واحترام وبعد فاني يا سيدي ابا هاشم اكتب اليك في مسألة ارجو ان تهديني فيها بشعاع من نور سراج علمك الوهاج. تعلمون ان لشخصية الحسن البصري منزلة في العلم خصوصا عند علماء التفسير لا تنحط عن منزلته في التقوى عند المتقين من اهل الزهد والورع.
وانا اليوم في شك من كلتا منزلتيه في العلم والتقوى لاسباب لا داعي لذكرها هنا. وقد قرأت عن هذا الرجل في ماضي حياتي اقوالا متفرقة في كتب مختلفة لا اتذكرها الآن سوى ان الذي علق بذهني منها (على ما اظن) هو انه فارسي الاصل وان اباه من سبي عين التمر وانه كان مولى لأحد الانصار الذي لا اتذكر اسمه وان ابنه الحسن هذا ولد في المدينة على عهد عمر ثم انتقل الى البصرة على عهد معاوية هذا ما اتذكره وما ادري اهو صحيح ام لا.
فارجو من سيدي الاستاذ ان يتفضل علي بكلمة موجزة تنير لي الطريق الى معرفة الحقيقة في هذه المسألة. ولو كنت ذا مكتبة فيها من الكتب ما استعين به على معرفة هذه الحقيقة لما ازعجتكم بهذا الطلب ومهما يكن فاني لكم من الشاكرين والسلام عليكم.

المخلص
معروف الرصافي

(من الراوي الى الرصافي)
سيدي الاستاذ الكبير.. سلام الله عليكم وبركاته فيكم وحمده اليكم:
اما بعد فإنني تلقيت بيد التجلة والتعظيم كتابكم الكريم. فشعرت عند قراءته بابتهاج في النفس لانه يشير الى تمتعكم بالعافية التي اتمنى ان يسبغ الله عليكم حلتها وعلى من تحبون من اخوان الصفاء وخلان الوفاء.
سألتم عن الحسن البصري واشرتم خاصة الى مسألة منبته ومحتده. والذي يؤخذ من كتب الاخبار والسير ان الرجل من الموالي كان ابوه (يسار) مولى لزيد بن ثابت الانصاري وهم من اهل ميسان من اعمال البصرة. وام الحسن (خيرة) مولاة ام سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام. وقد ولد في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ثم انتقل بعد ان ترعرع الى وادي القرى ومن هناك قصد البصرة وجعلها دار اقامته فنسب اليها. وقد ادرك نيفا ومئة من الصحابة ولم يرو إلا عن اربعة عشر منهم. وهو عند المحدثين ونقلة الآثار من الثقات الاثبات الذين لا مراء في عدالتهم.
وكان يعد من افذاذ الفصحاء ويظهر لي ان الفصاحة تأصلت فيه بحكم البيئة التي نشأ فيها بين المدينة ووادي القرى والبصرة. وقد نقلوا عن ابي عمرو بن العلاء انه قال: «ما رأيت افصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل له فأيهما كان افصح قال: «الحسن».
ويتجلى صدق هذا القول في استعراض المنقول عنه من روائع الحكم وجوامع الكلم. وكان اهل البصرة يجلونه اجلالا لا مزيد عليه ويعدونه في الطليعة من ائمتهم وكانت حلقته في مسجد البصرة فريدة في بابها حتى ان واصل بن عطاء عندما انفصل هو وبعض اصحابه عن هذه الحلقة والفوا حلقة اخرى في ناحية من نواحي المسجد اطلق عليهم الناس اسم المعتزلة كانهم اعتبروا مفارقين للجماعة التي كانت تضمها حلقة الحسن. ويظهر ان الحسن كان ممن يميل الى الوحدة ويبغض الفرقة والانشقاق فقد ورد انه كان ينقم من الحكومة المروانية بعض المظالم فلما ثار يزيد بن المهلب واعلن الانفصال عن بني امية امر بعض عماله ان يأخذ البيعة من الحسن فابى واسدى له نصيحة ثمينة. ولما انجلت تلك الغمرة وعاد الحسن الى حلقته في المسجد كانت اول كلمة قالها: «لا بد للناس من ورعة ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن». وتوفي في البصرة في مستهل رجب سنة عشر ومئة وشيعت جنازته تشييعا لم يسبق له مثيل، فقد قيل ان البصريين خرجوا بجنازة الحسن بعد اداء صلاة الجمعة فلما خلت صلاة العصر لم يحضر في مسجد البصرة احد لانشغال الناس في أمر الجنازة.
قالوا لم يعهد ان فقد المسجد صلاة من الصلوات المكتوبة تقام فيه جماعة الا عصر ذلك اليوم وهذا كله يدل على تعلق الناس يومئذ بحب الرجل حبا صادقا والبصرة يوم ذلك كانت مباءة الفضلاء ومحجة الادباء والعلماء.
هذا وترجمة الرجل مبسوطة في وفيات الاعيان لابن خلكان وفي تهذيب الاسماء واللغات وفي سائر الكتب التي تعنى بتراجم المحدثين مثل تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والميزان للذهبي وكلهم مجمعون على علو كعبه في الحديث والفقه والوعظ وما الى ذلك من الشؤون الدينية ، وله كلام كثير مبثوث في كتب الآثار والاخبار وامهات كتب الادب بحيث لو جمعت لتألف منها رسالة قيمة في الوعظ والتذكير والنصح والارشاد. هذا وقبل الختام ارجو قبول خالص الاحترام من اخيكم المخلص.

طه الراوي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

هكذا عرفت طه الراوي

في سنة تسع عشرة وتسعمئة وألف دخلت "دار المعلمين" وكانت يومئذ أرقى معهد علمي ببغداد، فكان معلموها أول من اتجه إليهم النظر، وأول من شغل بهم الفكر، وأي شيء، غير المعلم يستهوي الطلاب لدى أول انتسابهم الى معهد علمي! كان بين أولئك المعلمين معلم مديد القامة، معتدل القامة، نحيف البنية، انيق المظهر، حسن البزة، قد ظللته السكينة وجلله الحياء. وعلته المهابة وزانه الوقار. تزيده مهابة ووقاراً عمامة بيضاء، جميلة لوثاتها وحسن تناسقها. وتحليه لحية قصيرة سوداء. إذا مشى اسرع في خطاه. وغض من بصره فلا يكاد يرفعه عن الارض، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة. من عسى ان يكون هذا المعلم؟ وأي علم يدرس؟ وما مبلغه من العلم الذي يدرسه؟ وما مكانته بين المربين؟ ظلت أرقب درسه.. أيكون مخبر هذا المعلم كمنظره؟ والطلاب؟... ويل للمعلم من الطلاب!.. إنهم يعدون ما يصعد من انفاس الناس ويحصون عليه ما تبدو لهم في حركاته وسكناته من هنات.

مصطفى علي

ويلٍ للمعلم إذا رازه الطالب فوجده فخاً، او وزنه فشالت كفته، او عجم عوده فالفاه سهل مكسر.

حل موعد الدرس...وكان درس اللغة العربية فاستقبلنا ذلك المعلم الذي استبد بقسط غير قليل من تفكيري.

شرع يمهد للعلوم التي يدرسها، ويقدم لها مقدمات المعلم في بدء العام الدراسي، فاذا الاذن تأنس بنبرات صوته، وترتاح الى عذوبة جرسه. واذا النفس تستشعر الاخلاص والبراءة في حديثه وتستشف الجد والصدق في خطابه.

ثم اخذ في الدرس فاذا القلوب تهش لتدريسه. واذا الوجوه تبش لإلقائه. امسكنا عن الحكم وتريثنا فيه. فلم نتسرع ولم نتعجل فتابع دروسه في علوم اللغة العربية المختلفة فرأينا قيمة المدرس الرصين، والمعلم المحيط بعلمه، المخلص في عمله، الحريص على تهذيب طلابه وتثقيفهم.

وعرفنا فيه الغيور على لغته، القدير على التأثير في نفوس الطالبين، المسارع في توجيههم، المتفنن في الاساليب التي تحبب اليهم الدرس، وتحضهم على بذل الجهود في سبيل العلم. ولقينا فيه الشخصية الجذابة القوية في الصف التي تحسن التصرف وتجيد السيطرة، وتقوى على الضبط. فكنا نكبره ونحترمه، ونطيعه ونثق به. وكنا نطمئن الى سماحة خلقه ونستيقن عدله فنؤمن بان الدرجة التي ننالها منه هي الدرجة التي نستأهلها، وقد نتهم انفسنا ولا نتهمه. وندر ان رأيت طالبا منا غير راض عن درجته حتى صرنا نقول: ان هذا المعلم يزن الدرجة بميزان حساس.

كان احدنا متبرما باللغة العربية متأففا بكثرة علومها، يضيق ذرعا بقواعد نحوها وصرفها ورسمها، فما انقضى العام الاول حتى رأيناه مقبلا عليها، ميالا الى دراستها. ثم دعا قلمه فاجابه، ونادى طبعه فلباه، واهاب باللغة فاطاعاته فصار يكتب...

لم يكفه المرسل من الكتابة فطبع في السجع. وطاب له فبالغ فيه، ولم يكف عنه حتى وقع له معلمه "اسلك المحجة البيضاء ودع السجع للحمائم".

هذا المعلم الفذ، والمدرس النادر هو فقيدنا المأسوف عليه السيد طه الراوي.

×××

انهينا دراستنا بدار المعلمين، وقضت الأيام بأن يتفرق ابناء هذه الدار، فصدروا اشتاتا ليؤدوا ما نيطت بهم من واجبات وما حملوا من امانة بعد ان جمعتهم من انحاء الوطن والفت بين قلوبهم عامان دراسيان تأليفا لم تقو الايام على ان تفصم عراه الى يومنا هذا.

فارقنا هذا المعهد وفارقنا معلمنا الراوي ولم تفارقنا ذكراه ولا الحنين الى ساعة نستمع له فيها، ونصغي الى درسه ونقتبس من علمه.

والطلاب ضروب حين يفارقون معلميهم، منهم من يحافظ على التحية يشير بها الى معلمه حين يلقاه ثم تتراخى وتتضاءل على مر الزمان حتى تزول معالمها ويعفو اثرها.

ومنهم من تربط التحية والحديث بينه وبين معلمه فتدوم هذه الرابطة لايخلقها كر الجديدين، ولا ينال منها تقلب الدهر وحدثانه.

ومنهم من يحرص على صلته بمعلمه فلا تزيدها الأيام إلا توطيدا واحكاما، ولا الليالي إلا ثباتا ورسوخا حتى يصبحوا لمعلميهم اصدقاء وقليل ماهم.

وانا إزاء استاذي الفقيد من هذا النفر القليل، فمصيبتي به فادحة ، وحزني عليه مضاعف، وخطبي جسيم لأنني فقدت به استاذا وصديقاً.

×××

ما انقطعت الصلة بين استاذي وبيني، بل قويت اواصرها واشتدت فكنت اكثر من زيارته فأرد شرعة علمه، واستمد من أدبه، واسترشد رأيه، واهتدى بهديه، واستفيد من اطلاعه وخبرته. وقد سهل ترددي عليه ان عين مديرا للمطبوعات.

ثم دارت الايام دورتها فاذا استاذي يتوسد كرسي السكرتير لمجلس الاعيان. وانا يومئذ احد الموظفين بديوان هذا المجلس، فجمعت بيننا الوظيفة قرابة ستة اعوام كانت من خير اعوام الحياة. لم اره خلالها إلا كما عهدته، دؤوباً على التتبع والدراسة، مواظبا على البحث والاستقصاء، مكبا على ما يزيده ثقافة وعلما. فلم اشعر له بفتور عن مواصلة الجد والاجتهاد.

وما رأيته قرأ كتابا إلا سبره بفكره وذكائه فاستوعبه واحاط به فقرظ منه ما قرظ، وانتقد منه ما انتقد.

ثم عاد الى حضن امه الرؤوم التي سبقت له فيها اسمى خدمة فعد بجدارة في طليعة العاملين فيها.

عاد الى المعارف فتقلد مديريتها العامة ومنها الى المهنة التي خلق لها واطمأن اليها قلبه ، ورأى فيها المتعة النفسية واللذة الروحية: إلى تدريس اللغة العربية وآدابها بدار المعلمين العالية.

فقد كان يرى التعليم اخصب حقل يخدم فيه من يرمي الى النهوض بأمته، ويهدف الى العروج بها الى سماء الحضارة والرقي.

على ان الفقيد، عليه الرحمة، لم يتخل عن التدريس، ولا هجر التعليم وان ولي من العمل ما يخيل الى سامعيه ان بينه وبين التعليم بوناً بعيداً، بل لم يكن ضنيناً على من يستشفون صيب علمه، وينتجعون غزير فضله. فدرس علوم اللغة العربية ودرس التاريخ العربي والاسلامي ودرس التفسير في معاهد كثيرة.

ولا عجب فان فقيدنا على ما اتصف به من صفات نيرة وعلى ما عرف به من كفاية اهلته للنجاح في كل ما اضطلع به من عمل، فهو معلم قبل كل ما تحلى به من جليل المزايا وكريم المواهب.

كان معلما مطبوعا على التعليم، يلذه ويتذوقه، تميل اليه نفسه، ويوائمه طبعه، ويسكن اليه ضميره. بل اصبح التعليم صفته التي لازمته حتى كانت تغلب عليه وهو يتحدث في مجلسه او في غيره. فما يكاد يأخذ في الكلام إلا وسمعته يتنقل في احاديث كقطع الرياض بهجة ورواء، يتطلبها البحث ويقتضيها الحال، ثم يوغل فيها فيسهب ويزيد في الايضاح ويكثر من ضرب الامثلة. وهو يتكلم بلهجة المعلم يلقي درسا، وبصيغة من يروم ان يغرس ما يقوله في قلوب سامعيه. وكم سمعته يقول اثناء حديثه: "افهمتم؟" كانه في الصف امام طلابه.

×××

ظلت صلتي بالفقيد وثيقة، فما كنت اتخلف عن ارتياد مجامعه في مواعيده إلا لضرورة تضطر او حائل يحول. بل لم اكن ممن يكتفي بزيارته في مجلسه الذي اعتاد ان يجلسه مساء السبت من كل اسبوع والذي يكثر فيه زائروه على اختلاف ميولهم واهوائهم، فكنت ازوره في غير مواعيد مجلسه. وما كانت تخلو زيارة من فائدة استفيدها، او اشارة اقيدها، او عويصة افهمها.

لقد فقدت كريما وخسرت جليلا، والرزء يكبر بفقد الكبير، والأسى يجل لفقد الكريم الجليل ولاسيما من كان يراني "اخا ثقته" ويعهدني "للاهوان معوانا".

عن كتاب طه الراوي
القاهرة 1965

طه الراوي اثناء حفلة المصالحة بين الرصافي والزهاوي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
حزيران 2011

طه الراوي: صنعة الرواية

جمال الدين الالوسي

يحار المتصدي لسيرة فقيد الأدب السيد طه الراوي أي الجوانب يتناول وايها يذر، فان نواحيه متعددة الجوانب، ومزاياه فياضة بالفضائل، زاخرة بالجلائل، وحياته حالة بالامجاد من الاعمال والعظائم من الامور، يحسن بابناء الجيل احتذاؤها والاهتداء بنبراسها، فهي بمجموعها اقباس من المكرمات وانفاس من الصالحات وامثلة حية تحفز النشء على مكابدة المشاق في سبيل التحصيل ومتابعة الدرس والصبر على معاناته فطالما حفزت سير العصاميين ودفعت بالكثيرين من ذوي النفوس الخاملة الى ان ينفضوا عنهم غبار الكسل فيعملوا بياض ايامهم وسواد لياليهم حتى ينالوا مبتغاهم. ومن اجل هذا عني الاقدمون بكتب السير ولا سيما تراجم العصاميين منهم، فهي خليقة بان تدرس وان تحتذى.

كان رحمه الله يمتاز بخلال كريمة بمقدور المتحدث ان يقصر بحثه على خلة منها فهي كفيلة ان تغنيه من ان يتصدى لخلال اخرى، سوف تشبع رغبته الفنية ما واتته موهبته الكتابية. اقول بمقدور الكاتب ان يتحدث عنه مؤلفا ضليعا او كاتبا اجتماعيا او عالما غزير المادة واسع الاطلاع، حجة فيما يرجح، ولغويا يذكر بالسلف الصالح من امثال الخليل بن احمد الفراهيدي وابن الاعرابي. او مفسرا يحاكي الرازي وصاحب الكشاف كل هذه الجوانب التي اذا امتاز امرؤ بواحدة منها فهو خليق بأن يعد من عظماء الرجال فكيف وقد تفوق استاذنا بها جميعاً؟

برع الراحل الفقيد بالفنون اللسانية والعلوم الاسلامية حتى عد من فطاحل علماء عصره غير منازع. وكنت اسمع من شيوخ زمانه اثناء الحرب الكونية الاولى بانه قد اكمل علوم الجادة واصبح علما بها لدرجة لم يبق بين اساتذة عصره آنذاك من يفتقر الى الاخذ عنه ولم تخرج المطبعة العربية كتابا قيما في مصر او الهند او العراق او الشام إلا وقد اشتملت عليه مكتبته العامرة. فكانت تسعفه بما يحتاج اليه من بحث .

اما اخلاقه فقد صفيت من كل عيب فليس له شانئ او قال ولا عدو لا في السر ولا في العلانية، فذهب مبكياً عليه من جميع عارفيه. هذه النواحي الخصبة من سيرته قد تصدى للكتابة عنها كتاب كثيرون في العراق وغير العراق، لأن المعجبين بادبه لا حصر لهم وكلهم من ذوي المكانة والفضل، ولذلك فإني قصرت بحثي على صفة فذة انفرد بها بين اقرانه وله فيها فضل السبق على جميع ابناء المدرسة القديمة والحديثة في بغداد، تلك الصفة هي الرواية، فالشهرة التي عرف بها المرحوم كانت منطبقة على الحقيقة وواقع الحال. ونحن اذ ننعت المرحوم بالراوي فلسنا نقصد مبنى الكلمة من وجهة نسبتها الى مسقط رأسه، وانما نريد معناها الاصطلاحي اللغوي.

ان الذين حصلوا على المعارف واتسعت آفاق معلوماتهم كثيرون، ولكن ندر بينهم من كانت له براعة فقيدنا بالرواية او له قدرته على عرضها وافادة الناس بما حصل من دراسات منظمة او قراءات عابرة. سل اي طالب جلس اليه وهو يلقي درسه من منبره يخبرك خبر اليقين كيف كان يحقق بحثه ويفصل موضوعه ويدعمه بالشواهد ويؤيده بالامثلة، ويحدثك عن مقدار ما غرس في نفوس تلامذته من فائدة وبث فيها من ميل الى الدراسة والادب وكيف انهم كانوا ينصرفون من درسه ونفوسهم مفعمة بالغبطة والرضا، منشرحة لما يقتطفون من فوائد علمية وادبية. ولست اراني مبالغا اذا قلت بان تذوق الادب وشيوع دراسته في ربوعنا كان مصدره القصيد الراوي إما بالذات وإما بالواسطة.

واصدقاؤه الذين كانوا يسمرون في ناديه العامر في امسيات السبت – حياها الله واحياها – يقدرون طول باع استاذنا وتفوقه في هذه الخصلة، فهو محدث بارع يأخذ بمجامع القلوب ويأسر الألباب، ويبعث في طلابه ورواد ندوته ما شاء الله من اريحية ومسرة، ويمتع اذواقهم، ويرهف شعورهم، فقد كانوا ينهلون من نميره العذب ويغرفون من فيض معارفه الزاخرة، فمن طرفة ادبية الى ملحة مستطرفة، ومن فكاهة مستعذبة الى كلمة شاردة، ومن امثال سائرة الى ابيات من الشعر هي السحر الحلال.

استمع اليه يروي منحل الشعر ومصفى النثر ومهذب الاخبار تعرف بين برديه الاصمعي او حماد او ابن قتيبة واضرابهم من حفظت لنا بطون الاسفار سيرهم ونوهت لنا بنبوغهم في الرواية وسعة الدراية.

نعم للمغفور له في عنق ابناء هذا الجيل دين أي دين في توجيههم الادبي، فهو والحق اقول الذي غرس في نفوسنا الميل الى اداب اللغة وتذوق المصفى من نثرها والمصفى من شعرها، فما كان ارواه واكثر حفظه للعذب من منظوم اللغة ومنثورها.

هو الذي عرف ابناء هذا الجيل ببشار والبحتري وابن الرومي والمتنبي وابي العلاء والشريف الرضي وابن معتوق، وهو الذي حبب الى الكثيرين دراسة زهير والنابغة وطرفة ابن العبدو امرئ القيس، وهو الذي وجه طلاب الآداب الى دراسة الجاحظ وعمرو بن سعدة، وهارون بن سهل وابن رشيق، وابن خلدون وابن بسام وابن حيان.

لقد أوتي غفر الله له حافظة واعية وذاكرة مواتية، فاذا افاض في حديث تلقاه يحسن الاستشهاد بالحكاية المؤيدة، والمثل المناسب، والحكاية المشابهة. وذاكرته من اعجب العجائب تواتيه بالشواهد، وحافظته قلما خانته في رواية ما استوعبته من روائع لشعر او بدائع النثر، فكأنه كان يغرف من بحر، او كأن كتابا مسطورا يقرؤه.

كان نادرة من نوادر الدهر، وتحفة من تحفه التي قلما يجود بها، براعة لسان، واتقاد ذهن وسرعة بديهة، واتساع معارف، ورجاحة مدارك، فهو الاديب على غرار ما عرضه ابن خلدون. تصفو النفس لمجالسته ويشيع فيها المرح لحديثه. واما حضور بديهته في ايراد المثل من مأثور الآداب منظوما ومنثورا فهو مالا يتفق لأحد من اقرانه ولا يشق له غبار في هذا المضمار. ومجلسه والاستماع لما يروى في شتى العلوم وضروب الآداب فكان متاعا دونه متع الحياة ولذائذها، ولاسيما الساعة الأولى التي كنا نقضيها في مكتبته العامرة انا والصديق المحزون على فقده مصطفى علي الذي كان الفقيد يعزه ويؤثره على سائر اصحابه ويستأنس برأيه، وكثيرا ما كان يكنفه قراءة فصل من ديوان او كتاب الى ان يتقاطر علينا رواده الكثيرون، وهم يختلفون ذوقاً وسناً ومدارك، فنضطر الى ترك مجلسنا والانقطاع عما كنا فيه من نشوة ممتعة ننسى فيها هموم الحياة واتعابها.

كان الراوي رحمه الله مسرفا في القراءة ان صح ان في القراءة إسرافا، فما زرناه مرة إلا وجدناه يقرأ او يسمع لمن يقرأ له. وهذه نتيجة طبيعية لنشأته العصامية الاولى، فقد نشأ عصاميا بما حصل من العلم والاداب ومن زامله في الدراسة او عاشره في صباه يوم كان ياخذ العلم عرف شدة ما كان يحمل نفسه من تعب وما كان به يرهقها من عناء لايطيقه إلا العصاميون الافذاذ.

وخصلة ثانية جديرة بالتنويه عرف بها الراوي، هي سعة اطلاعه، فما خاض سماره في حديث إلا شارك فيه، بل افاض في موضوعه وافاد السامعين بتعليقاته، وفطن الى دقائق في الموضوع حتى يبلغ غاية المدى. واجود ما كنت تسمع منه الآداب العربية والعلوم الاسلامية وخاصة تعليقاته في التفسير. اما اطلاعه على التاريخ العربي بفروعه كلها جاهلية او اسلامية، اموية او عباسية. او الخانية، فكان فيها حجة وترجيحه عليه المعول. وليس بين شيوخ الادب وعلماء العربية في العراق قاطبة من يدانيه في الضبط، فاللحن تفشى عند الخاصة، بله العامة، وعلة ذلك عدم الركون الى التحقيق واجهاد النفس بمراجعة المعاجم، فنلفظ الكلمة كيفما اتفق دون ان نكلف انفسنا الاخذ عن القاموس او ضبطها من المعاجم، ومرجعنا السماع الملفوظ. وقد كان من اماني الاستاذ المرحوم فرض رقيب يثق به على الاذاعة تعرض عليه خطب المتحدثين عن منبرها. واعراب صعاب الكلمات بالشكل، وتنبهم الى الاخطاء الشائعة، لان جمهور السامعين يحسبون صحة كل ما يلقى، وهنا البلوى، فيشيع التقليد ويكثر الخطأ، ويساء الى العربية عن طريق الجهات التي تقصد خدمتها، وكم كان رحمه الله يغم لإلقاء بعض اولئك المتفاصحين الذين يكلفون بتقليد الممثلين المصريين، وفاتهم ان البون شاسع بين حوار الممثلين وقراءة المواضيع ادبية او علمية، فتراهم يمطون بالحرف وحقه القصر مثلا، ويقفون على ما لايصح الوقوف عليه كاسم الموصول قبل الاتيان بصلته، او على الموصوف قبل اكمال صفته، وكم سمعنا خطباء يقفون على حرف الجر. واكثر ما كان يسوءه اولئك الذين يتقعرون ويتفهقون بنطق الكلماء فيزدردون الحروف بحيث لا يتضح حرف عن آخر. وكم نعى على الاذاعة اهمالها هذه الناحية او فسحها المجال لبعض الناشئين ممن لايتوافر فيهم النضوج، لأنه يعدها اخلق اداة وانفع وسيلة لتهذيب الجماهير.

وبعد فخسارتنا بفقد الراحل لا تعوض، وفراغه لايسد. اجزل الله لنا الأجر، وألهم آله وذويه الصبر وتغمده بعفوه ورضاه.

الراوي ومعه الدكتور مهدي البصير لدى حضوره مهرجان (المعري) في دمشق عام ١٩٤

عن كتاب طه الراوي
دراسات في الادب . القاهرة
1965

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

طه الراوي
من أعلام الأدب في العراق

خالد خلف داخل

أبو هاشم طه الراوي أحد مفاخر العراق في العصر الحديث عالما اديباً وكاتباً متتبعاً وعالماً فاضلا ومؤرخاً جليلاً واستاذا مرموقاً واسع الاطلاع كانت له اليد الطولى في جميع فنون اللغة العربية كان عارفا باسرارها شغوفاً بها دارساً ومنقباً فيها حتى اصبح مرجع دارسيها ساير النهضة الحديثة في العراق فكان من رجالات العلم والفضيلة ونوابغ الادب والكمال فهو قاموس اللغة وقلادة الادب.

سيرته:

طه بن صالح الفضيل الراوي بصري الاهل راوي النشأة نزح اجداده من البصرة الى مدينة راوة وسكنت عائلته هذه المدينة فنسب اليها ولد عام ١٨٩٠ في اسرة الراوي التي يتصل نسبها بنسب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وتاريخ هذه الاسرة معروف بالعلم كان عميد هذه الاسرة السيد عبد الله الراوي جد ابي الحارث عالما فاضلا تخرج على يديه خيرة طلاب العلم ورواد الادب ومن أشهر طلابه ابو الهدى الصيادي الرفاعي شيخ ومعلم السلطان عبد الحميد العثماني في هذه البيئة نشأ (طه) في كنف أب تقي ورع اراد لابنه تربية اسلامية خالصة مع الأخذ باداب العربية واسرارها وقبل ان يدرك العاشرة من عمره اصيب بالجدري فافقده باصرته اليمنى مما اثر في نفسه لكن لم تحد من نشاطه ولم تمنعه من الدراسة والاستقصاء ولذكائه وطموحه رأى ان قريته الصغيرة لا تتسع لاماله فعزم على الرحيل الى بغداد وهو غلام يافع وهكذا هجر راوة عام ١٩٠٥ راكباً بغلته مع قافلة قاصدة مدينة بغداد وما ان وصلها حتى او الى مدرسة خضر الياس في الكرخ لم يمكث طويلا فيها حتى انتقل الى مدرسة الامام الاعظم وهذه المدرسة اسسها الوالي العثماني جمال الدين الملقب بالسفاح عام ١٩١٠.

بدأ طه الراوي ثقافته الاولى على عادة البغداديين الى الحلقات في المساجد والمدارس وكانت دراسته النحو واللغة فدرس على طريقه أهل السلف وكان ولعه بالنحو فاكب عليه وامعن فيه ولما احس في نفسه التمكن مما درس انخرط في مجلس علامة العراق الشيخ محمود شكري الالوسي (١٨٥٧ – ١٩٢٤) وقرأ عليه ألفية ابن مالك وكان مجلس الشيخ الالوسي يضم صفوة الشباب ممن غدوا بعد اعلام نهضة العراق الادبية وكان طه الراوي اثيراً عند الالوسي اذ توسط له عند المسؤولين فأعفي من الخدمة العسكرية وكلف بتعليم رجال الجيش ومدربيه من الضباط قواعد اللغة العربية فانفسح له بهذا مجال جديد من الصلات بالناس بعد وفاة شيخه الالوسي سنة ١٩٢٤ انتمى طه الراوي الى دار العلوم العربية والدينية ببغداد بعدها درس الدراسات القانونية في كلية الحقوق ونال شهادتها سنة ١٩٢٥ وكان اول اقرانه الناجحين وبعد سنة من تخرجه عين مديراً للمطبوعات العربية في مديرية الدعاية العامة واثناء تسنمه وظيفته خلع زيه العربي القديم العمامة والجبة واتخذ زي الموظفين المدنيين لكنه بقي محافظا في روحه وعمله ثم عين استاذاً للاداب العربية وتاريخ الاسلام في دار المعلمين العالية واسند اليه تدريس علم البلاغة والتفسير وتاريخ العرب والاسلام في جامعة ال البيت وفي عام ١٩٢٨ عين اميناً لمجلس الاعيان ، بنقل الدكتور منير بكر التكريتي بكتابه ادباء صحفيون عن ناصر الحاني فيقول حدثني طه الراوي ذات مرة انه عرض عليه التدريس في كلية الحقوق البغدادية فابى لان باعه في العربية ابعد ورغبته فيها تغلب سواها ورشح لوظائف عالية في الدولة لما اتصف به من نزاهة واخلاص لكنه

بدأ طه الراوي ثقافته الاولى على عادة البغداديين الى الحلقات في المساجد والمدارس وكانت دراسته النحو واللغة فدرس على طريقه أهل السلف وكان ولعه بالنحو فاكب عليه وامعن فيه ولما احس في نفسه التمكن مما درس انخرط في مجلس علامة العراق الشيخ محمود شكري الالوسي (1857 – 1924) وقرأ عليه ألفية ابن مالك

كان يدفع طالبيه من ذوي الشأن الذين ارتضوا ان تعهد كثير من المهمات لغير المختصين وظل امينا لمجلس الاعيان تسع سنوات اتاحت له عقد صلات وصداقات وثيقة بالذين تولوا مناصب الدولة ومجالس التشريع وقد خبرهم وخبروه ومن مآثره انشاء مكتبه مجلس الاعيان وقد حفلت بما تخيره من امهات الكتب في السياسة والتشريع والتاريخ والثقافة العربية والاسلامية وفي هذه المرحلة يذكر الدكتور منير بكر التكريتي من حياته زار تركيا وسورية ومصر وافادته هذه الزيارات في التعرف على تلك الاقطار اذ اتصل برجال العلم والادب وافاد علماً وتجربة وتوسم فيه رجال المجمع العلمي العربي بدمشق كفاءة علمية وتضلعا في علوم العربية فاختاروه عضوا في هذا المجمع سنة ١٩٣٣ وشاركهم بالمراسلة ببحوثه ونشر محاضراته في سنة ١٩٣٧ اسندوا اليه منصب مدير المعارف العامة وهذا المنصب من المناصب الشاقة المتعبة لتعدد المشكلات والقضايا وقد اثنى عليه الشاعر الوزير محمد رضا الشبيبي ثناء حسنا لما يتمتع به من غزارة علم وسمو اخلاق، لم يطل بقاء الراوي بكرسي المعارف فتحول الى التدريس في دار المعلمين العالية سنة ١٩٣٩ وكانت هذه المرحلة من حياته احفل ايامه بالبحث والنشاط والانتاج والنشر والكتابة في الصحف في موضوعات يعالجها معالجة خفيفة سهلة ويعالجها معالجة دقيقة.

مجلس الاستاذ طه الراوي:

كان مجلسه في بيته ندوة من ندوات بغداد الادبية يختلف اليها كثير من الادباء ووجوه القوم من طالبي المعرفة والنخبة الممتازة من الاساتذة والشعراء يذكر ابراهيم الدروبي بكتابه البغداديون اخبارهم ومجالسهم فيقول العلامة السيد طه الراوي علم من اعلام العلم والادب في بغداد ورجل له ذكره الحسن واثره الخالد ثم يمضي فيقول كان له مجلس جامع عامر يرتاده العلماء والادباء والكبراء تبحث فيه المشاكل العلمية والطرائف الادبية وتسمع منه اخبار السالفين وتقص انباء الراحلين فهو اشبه بمجمع علي او منتدى ادبي او محفل سياسي.

مقالاته:

يذكر منير بكر التكريتي بكتابه ادباء فيقول عكف الراوي منذ صباه على العمق في البحث ودراسة نفائس الذخائر من آثار السلف مما هيأه للخوض في موضوعات مختلفة اذ برزت مواهبه في اكثر من مجال فأثر تأثيراً بارزاً في الحياة العلمية في العراق وبخاصة فيما يتعلق بالثقافة العربية والادب العربي بما نشر من مقالات وبحوث ودراسات فيها النحو واللغة والفقه وهي تدل دلالة واضحة على تضلعه في تلك العلوم اذ كان استاذا لايبارى في اللغة وثقة في ادب العرب قبل الاسلام كما كان استاذا في النحو منقطع النظير وله دراسات متنوعه في شتى فنون اللغة والعلوم العربية والاسلامية وابحاثه من امتع البحوث كان رحمه الله كالسيل اذا تحدث واذا حاضر اذ كان بليغ الكلام ناصع الحجة قوي التعبير انيس المجلس حاضر البديهة.

طه الراوي وقضية فلسطين:

كانت قضية فلسطين الشغل الذي شغله بآخر حياته واستحوذ على افكاره فكتب عنها الشيء الكثير مبينا

مظالم الغرب وتشجيعهم اليهود وعطفهم عليهم دون سواهم فكتب في جريدة الزمان في العدد ٢٧٠٢ سنة ١٩٤٧ مقالا بعنوان (فلسطين والدنيا الجديدة) فقال ان عرب فلسطين ومن ورائهم عرب الدنيا ومن وراء هؤلاء مسلمو العالم وكل هؤلاء لايرضيهم ان تكون فلسطين مسرحا لاوثاب الغرب وشذاذ الأفاق لانها قبلتهم الاولى.

طه الراوي والرئيس الاميركي:

يبلغ طه الراوي الذروة في مهاجمة الاستعمار وبيان اساليبه وخداعه ومراوغته في هذه القضية ويقول ما شأن (قرومان) واشياعه بقضية فلسطين وهل فلسطين احدى المقاطعات الاميركية؟ ولو صدق ثرومان في دعواه وصدق صهاينة الدنيا الجديدة معه لسعى وسعوا الى فتح ابواب الهجرة الى مملكتهم ويظهر لي ان صهيوني اميركا لايريدون ان يفتحوا باب الهجرة ليهود العالم الى مملكتهم لانهم على يقين بان هذا الفتح سيفتح عليهم بابا من الشر لايمكن سده بعد ذلك.

الراوي والانكليز :

اما اراؤه في موقف الانكليز من قضية فلسطين فقد عبر عنه بانه موقف عجيب وغريب يظهرون للعرب خلاف ما يضمرون ولايدري اهو حياد او تحايد لان الانكليز يظهرون بمظهر المشفق على حقوق العرب الحريص على صداقتهم ويقفون للصهاينة بمظهر المعارض الممانع وفي الباطن يؤيدونهم نفاق مهروا فيه من قديم.

طه الراوي والحكام العرب:

اما اراؤه من حكام العرب فقد اطلقها صريحة غير هياب او وجل من ظلمهم ونشرها على صفحات الصحف بمقالات تظهر في نبراتها روحه الوثابة ووطنيته الصادقة المنبعثة من نقدات خص بها اولئك الحكام وضمنت تلك المقالات الكثير من التقريع والوم كما وجه نقده للوزراء وكان يدلي في مناسبات كثيرة باراء في شؤون السياسة وكانت تلك المقالات في اواخر حياته رحمه الله فكان لمعلم الجيل مؤلفات عديدة منها:

١. ابو العلاء المعري.
٢. بغداد مدينة السلام.
٣. تاريخ علوم اللغة العربية.
٤. نظرات في اللغة والنحو.

توفي رحمه الله في ٢١/ت١/ ١٩٤٦.

ما قيل في تابينه:

قال في تأبينه الاب انستاس ماري الكرملي، انت في فؤاد كل من عرفك او سمع بك او اغترف من معين علمك الصافي الغزير الفياض
وذكراك خالدة مهما تقادم العهد وتعافيت السنون لانك من اهل العلم واهل العلم احياء

ورثاه مير بصري فقال: قيل في بعض معلمي الاغريق القدماء (ان تلامذته خير اثاره) ولاريب ان هذا القول يصح في استاذ العراق الاول المرحوم طه الراوي وقال توفيق السويدي: قد احببت صديقي الفقيد لميزة زادته في نظري اعجابا وهو ان تفكيره كان بعيدا عن تفكير بعض المعجبين وأريد بهذا ان طه الراوي لم يكن يتسم بالجمود بل كان يريد ان يساير الزمن ويواكب تطوراته وقال مؤرخ العراق عباس العزاوي، لا اخالني مبالغاً اذا قلت ان الفقيد استكمل ادب النفس وهو اصل التهذيب الحق واداة العلم الوافر وقال الدكتور مصطفى جواد في رثائه:

ارى الموت لم يترك لذي اللب مفزعاً
غداة رمى طه فاصحى وروعا
فقدنا عميد الامعين وذا النهى
وذا الرأي محمود المغارس مونعا
هوى كهوي العبقريين لم يكن
لقلبهم صبر على حمل ما وعى
ابا هاشم اضحى مصابك شاملا
فكيف التأسي والاسى قد توزعا

ترجم لحياته رحمه اله الكثير من الكتاب والباحثين منهم ابراهيم الدروبي في كتابه البغداديون ومير بصري بكتابيه اعلام الادب في العراق الحديث ج١ وكتاب اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث كما الف ولده حارث الراوي كتابا خاصا عن والده (طه الراوي) والدكتور منير بكر التكريتي بكتابه ادباء صحفيون اضافة الى الصحف والمجلات التي تناول فيها العلماء حياة المرحوم طه الراوي.

عام ١٩٣٦ في بلودان

صلتي بطه الراوي

محمد رضا الشبيبي

يعود تعرفي الى الفقيد العزيز الأستاذ السيد طه الراوي رحمه الله الى زمن بعيد، فقد شاهدته أول مرة في يوم من ايام سنة ١٩٢٥ او نحو هذا التاريخ يقتعد كرسيا متواضعافي ديوان وزارة الداخلية، فلما شاهدني نهض الي وعلمت اذ ذاك انه يشغل منصب مدير المطبوعات في ديوان الوزارة المشار اليها. فقد مضى على لقياي اياه والحالة هذه عشرون حولا كاملا. ثم كثر اجتماعي به على مختلف الحالات فلم يزدني ذلك إلا إكباراً له واعجابا بفضله وغزارة علمه وسمو اخلاقه، فقد كان من اعلام الادب الأوائل بل كان خزانة سيارة مفعمة بفنون الأدب القديم واللغة والتاريخ.

×××

تمادى الاتصال وتأكدت الصلة بيننا بعد ذلك إذ كان امين سر مجلس الأعيان مدة طويلة وكان يتحدث إلي يومياً بحكم وظيفته عدة سنوات حديث الأستاذ الحكيم فازددت اعجابا بسداد آرائه وبعد نظره في كثير من الشؤون العامة والخاصة.
كانت آراؤه ومشورته هذه تسدي لجميع من يتصل بهم او يتصلون به وهي منبعثة عن اخلاص ونية صالحة.
لم تكن تأخذ الفقيد في سرد آرائه والتعبير عما يخالج نفسه لومة لائم مادام ذلك صادرا عن فكر واعتقاد.

×××

ثم اتيح لنا بعد ذلك ان نتحدث مدة طويلة اخرى لا تزيد على السنة في مطلع كل يوم او في مسائه وذلك لما اسند إليه منصب مدير المعارف العام سنة ١٩٣٧، وكان هذا المنصب من المناصب الشاقة المتعبة في الوزارة المشار اليها وذلك لكثرة علاقات الجمهور به ولتعدد المشكلات والقضايا العويصة التي تنتظر حلا في ناحية الادارة والتربية والتعليم وقد استطعت بالطبع عليه الفقيد – رحمه الله – من لين عريكة ودماثة خلق وسداد رأي ان اتغلب على كثير من تلك الصعاب وان نجتاز عدداً من العقبات الكأداء بعون الله تعالى..

×××

فارق الفقيد منصبه المذكور في ديوان الوزارة المشار اليها في مطلع سنة ١٩٣٩ واسند اليه منصب استاذ اللغة العربية في دار المعلمين العالية وأنشئ في هذا المعهد العالي قسم خاص باللغة العربية اسندت اليه رئاسته وكانت كفاءته في التدريس وفي الادارة مشهودة لا ينازعه فيها منازع.. رأيت الفقيد الكريم شديداً في المحافظة على شعائر الدين والاداب فاذا كنا نجمع اليوم على تحية الصديق الراحل وقد ودع هذا العالم الجافي فانما نحي فيه استاذا قلما يجود الزمان بامثاله ولذلك نبتهل الى المولى سبحانه وتعالى ان يتغمده بالرحمة وان يأسو جراح هذا الوطن بفقده، انه ولي التوفيق.

عن كتاب طه الراوي
الكتاب التذكاري عن طه الراوي تأليف حارث طه الراوي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2197)
السنة الثامنة
الخميس (21)
تموز 2011

من يوميات طه الراوي

حارث طه الراوي

لم يترك المرحوم الراوي مذكرات، ولكنه ترك دفترا صغيرا لا يتجاوز طوله ١٠ سم ولايتجاوز عرضه ٦ سم. وفي هذا الدفتر الصغير دوّن الرواي مذكراته او يومياته التي صوّر فيها بايجاز مشاهداته وانطباعاته عن الرحلة التي قام بها الى سوريا وتركيا ولبنان في تموز عام ١٩٢٩. ويستطيع القارئ ان يستشف من خلال سطور هذا الدفتر مزاج الراوي ولمحات من سلوكه الشخصي. وقد استعمل الراوي في كتابة هذا الدفتر قلم (القوبيا). والى القارئ بعض ما ورد في الدفتر:

ليلة الخميس ٤ تموز سنة ١٩٢٩

تحركت القافلة الساعة ٣ والنصف وتحركت من الرمادي الساعة ١١ ق.ظ ووصلت الرطبة الساعة ٧ ب. ظ، وتحركت من هناك الساعة ٩ ووصلنا دمشق الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الجمعة ٥ تموز سنة ١٩٢٩.

السيارة ناش. السائق الماهر توفيق بني، وآخر اسمه احمد.

زرت في دمشق: الجامع الأموي ومرقد نور الدين زنكي، ومرقد صلاح الدين، ومحيي الدين، وعبد القادر الجزائري، والصالحية والمنشية، واهم الاسواق، والمجمع العلمي العربي، ودار الآثار، والمكتبة العامة.

نزلت في اوتيل رويال الجديد مع شكري ونوري وجميل العزاوي وعلي افندي المهندس واسطه علي مهندس الاطفائية.

الاوتيل نظيف وفيه اشياء حديثة ولكن خدمه قليلون وضعاف، وهناك اوتيل الحوام اوسع ولكن الخدم فيه من طراز اوتيلنا.

دمشق:

كوكب دري في سماء خضراء، او درر منتثرة على بساط اخضر. او بيوت في حدائق لا حدائق في بيوت. تمدها بالماء النمير انهار اكبرها بردى، واعذبها ما ينصب من عين الفيجة، هذا خاص بشرب القوم.

الطرق كلها مبلطة، والحياض الصخرية منبثة هنا وهناك، وقل ان تدخل بناية إلا ويستقبلك فيها حديقة محاطة باشجار وازهار، الفواكه فيها كثيرة وناضجة اما اهلها فيمتازون برجاجة الاحلام، وهدوء الطباع، والانصراف الى المكاسب، من غير ما ضجيج او عجيج. وهم بعد عرب مسلمون.

اتفق ان فجعت هذه السماء يوم قدومنا باحد اقمارها الزهر، واعلامها الغر: فوزي الغزي. احد اعضاء الجمعية الوطنية بل احد اركانها الاقوياء ومدا ها المقاوم. اعتبطته المنون فجأة على حين البلاد في اشد الحاجة الى امثاله، وهو من اساتذة الحقوق المعروفين، واعلام الحرية الموصوفين.

فكان فقده أليم الوقع على الوطنية والحرية. ومن ثم قامت لهذا المصاب دمشق وقعدت، فعطلت الاسواق ووقفت حركة الاعمال، ثاني يوم وفاته، والف القوم موكبا مهيبا تدفقت فيه الجماهير من كل صوب وحدب، وسالت بهم شوارع المدينة ساعات عديدة، فرأيت هناك مرأى ادمى القلوب وادر ماء الشؤون حافلة. واهم شيء اثر في نفسي تأثيرا عميقا علم ابيض مطرز عليه باللون الاحمر هذه العبارة (مات واضع الدستور فليحيا الدستور). والحق ان لهذه العبارة مغزى تغلغل في اعماق انفسي فأثار اشجانها وأهاج بلابلها، فأورثني حزنا ممزوجا بأمل يتجدد في نفسي من حين الى حين، الحزن منبعث من هذه الحالة الراهنة التي يتململ فيها القوم ويمارسون منها ما يمارسون. والأمل يتسرب الى النفس عندما تجد هذه الجماهير المترامية والعيون الدامية تسيل اسى على فتى من فتيانها، بذل في سبيل حريتها شيئا من راحته ، وارخص في سبيل استقلالها غالي مهجته.

نعم ان هذا الشعور يدل على ما وراءه من العواطف المائجة والارواح القلقة الهائجة.

×××

لم اشعر في دمشق بشيء مما يشعر به الطارئ عادة من الوحشة، لأن الشائع في دمشق هو هو في بغداد وما دمشق وبغداد إلا رمزان من رموز مجدنا الغابر، وعزنا الداثر.

اعتصمت بمعقلها العروبة حينا من الدهر في ظل اعلام عبد شمس وهاشم، واليوم وبعد ان شرد الدهر بابناء العروبة آلامه واحزانه، ألا يجب عليهم ان يضموا الصفوف ويوحدوا القافلة، فالطريق مخوف . انا واثق ان نجاح بلاد العرب مرتبط بعضه ببعض، ففوز بغداد موقوف على فوز دمشق وبالعكس ومثل ذلد فلسطين ومصر و.. و...

×××

شهدت بعض مواطن الانس وكان القائم في الملهاة سرب من بنات فرنسة فوقع نظري على مالا الف للناس به في هذا الشرق من ضروب الخلاعة وانواع المغريات على الوقوع في شباك الشهوات ولاسيما للشباب الهائج الدم. فاذا كان الغرب ينظر الى هذه الانواع من الملاهي نظره الى الأمور الاعتيادية المألوفة فإني اوجس ان يكون اثرها في الشرق عهراً وفسادا. واني لأخشى ان تتدفق هذه الامور الى الشرق فتقذف بشبابه في تيارات الانحطاط العقلي والاخلاقي.

×××

الاثنين:

زرنا محطة الحجاز، والبرامكة، وباب توما، وهناك زرنا قاعة تشتمل على حوض بديع جداً. ومن هناك رجعنا فزرنا سراي عزت العابد للاستراحة ثم زرنا بيت العظيم، وهو بيت عظيم اكلت النار اهم ما فيه. ورجعنا عند الساعة ٤ ب.ظ. الى عين الفيجة ورجعنا الى الهامة فدمر فالربوة. وهي مواطن نزهة، بل هي من انزه ما وقع عليه نظري الى الآن، وادٍ عميق سائل بالاشجار، تجري من تحتها الأنهار.

×××

الثلاثاء:

حمام الحياطين، وهو ابدع حمام وقع عليه نظري. تحركنا من دمشق الساعة الثانية بعد الظهر ووصلنا حمص عند الساعة الخامسة والنصف ب.ظ. فنزلنا في فندق بديع يسمع فندق (زهرة حمص). وكان اسم السائق عبد الهادي. وكان الطريق بين دمشق وحمص معبدا ولايزال العمل في اصلاحه مستمراً. يلوح لي ان حمص بلدة نظيفة واسعة، الطرق ذات متنزهات خضراء لابأس بها. اتفق ان وردت حمص يوم قدومنا الممثلة الشهيرة فاطمة رشدي فازدحمت بالمتفرجين قاعة واسعة من قاعات الروضة اشد الازدحام حتى ان كثيرا منهم آثر ان يتعشى في المطعم ليكون على مقربة من محل التمثيل ٥ وقد كان حضور هذه الممثلة بالحاح من شبيبة حمص على ما قيل.

لايفتأ نظر الناظر يقع على جماعات من النساء يمشين مشي المتنزهات في الشوارع وخارج البلدة.

ويظهر من مجموع الحالة ان الحركة الاقتصادية ناشطة، اهل حمص اجمل وجوها واقوم ابدانا من اهل دمشق.

الاربعاء: ١٠ تموز سنة ١٩٢٩

زرت محطة القطار في حمص واعطيت عربونا لحجز محل في القطار الذي يتحرك من طرابلس صباح الغد. والمهم هنا مسالة غرف المنام فان كثيرا من السياح والمسافرين يحجزونها من محل بعيد قبل الوقت المعين.

رجعت من المحطة الى حمص واكتريت سيارة ذهبت بها الى حماة، وكانت الطريق بين هاتين البلدتين معبدة وهي نحو الخمسين ميلا تقطعها السيارة في ساعة واحدة.

اجمل ما في حماة نهرها العاصي، وتلك النواعير الجميلة التي تدور بسرعة. والبلدة قائمة على هضبتين متقابلتين يفصل بينهما واد كثير الاشجار. واهلها في حركة مستمرة مياهها غزيرة والحياض منبثة هنا وهناك.

رجعت الى حمص ثم في الساعة السادسة ب. ظ. قررت مع الحاج شكر ان نسافر الى طرابلس لنركب القطار من هناك وإلا فمن المحتمل ألا يبقى لنا محل في هذه المرة ونبقى الى الاثنين.

تحركنا من حمص في السيارة الساعة ٦ و٥ دقائق ب. ظ. فوصلنا طرابلس نحو التاسعة. ونزلنا فندق نزهة الفيحاء، ثم تجولنا في المدينة قليلا وراجعنا وكيل الشركة في فندق رويال واتفقنا معه على حجز مكانين في القسم الاول على ان نقابله غدا الساعة ٧ ق.ظ لاتمام المعاملة . وتعشينا في مطعم جميل انيق يقوم في تنظيمه اخوان موصليان احدهما يسمى ناظم والثاني مجيد.

طرابلس حارة او كما يقول الشاميون (شوب) ومع ذلك فان القوم ينامون في الغرف. تُنار البلدة بالفوانيس على الطراز القديم. وقد وجدنا البلدية جادة في تنظيم جوادها وساعية لتنويرها بالكهرباء. وقد وقع نظري على متنزه بديع جميل يسمونه المنشية، وهو معد لاستراحة الاهالي مجانا.

ذهبت صباحا الى الميناء بالسيارة وشربت هناك قهوة طيبة على ساحر البحر، ورجعنا من هناك فأتممنا معاملة القطار واشترينا ما يلزم للطريق وقصدنا المحطة الساعة الثامنة والنصف ق.ظ ومن هناك امتطينا القطار فتحرك بنا في التاسعة تماما فوصلنا حلب عند السابعة والنصف. وتحركنا من هناك في الثامنة مساءً، وكان

زرنا محطة الحجاز، والبرامكة، وباب توما، وهناك زرنا قاعة تشتمل على حوض بديع جداً. ومن هناك رجعنا فزرنا سراي عزت العابد للاستراحة ثم زرنا بيت العظيم، وهو بيت عظيم اكلت النار اهم ما فيه. ورجعنا عند الساعة 4 ب.ظ. الى عين الفيجة ورجعنا الى الهامة فدمر فالربوة. وهي مواطن نزهة، بل هي من انزه ما وقع عليه نظري الى الآن، وادٍ عميق سائل بالاشجار، تجري من تحتها الانهار.

الجو حاراً في الجملة، ولكنا نمنا في المقطورات وهي مغلقة الابواب والنوافذ خشية ان يدخلها نوع من الذباب يقال انه يلسع لسعا مؤلما. وما فتحنا عيوننا في الصباح إلا على جبال شامخة ذاهبة في الفضاء تكسوها اشجار برية، فاخذ القطار يتلوى في شعاب هذه الجبال وعلى اسنادها وفي اوديتها، وتارة يعز عليه المخرج فيضطر الى اختراقها من تحتها بانفاق مختلفة اقصرها يقطعه القطار في دقيقة او اقل. واطولها يقطعه في بضع وعشرين دقيقة وهي كثيرة. وما زال القطار يتلوى في تلك المنعطفات ويغور وينجد في هاتيك الهضاب والاغوار إلى ما بعد الظهر وعندها انحدر الى واد واسع تكتنفه جبال شاهقة ويخترقه نهر صغير تمده عيون صغيرة هنا وهناك. ويلوح للناظر الى شغاف تلك الجبال قطع من الثلوج ناصعة البياض، ولم نزل في ذلك الوادي ينهب قطارنا ارضه نهبا الى المساء، وعندها وصلنا قونية فرأينا كثيرا من اهلها في منتزه لهم عند محطة القطار، وكانت الموسيقى العسكرية تعزف لهم. رأينا الرجال مختلطين بالنساء وكأنهم مفترقون لأن النساء يجتمعن الى النساء ويتحدثن مع بعضهن والرجال ولاسيما الشبان يحومون حولهم وكلهم عيون ناظرة، ورأيت بعض النساء محتجبات على الطراز القديم، ويظهر من مجموع السجن التي رأيناها ان الجمال عزيز في هذه البلدة.

اول ما تستوقف نظرك في هذا البلد منائره الكثيرة وجوامعه الكثيرة. خيم علينا الليل بعد ان تركنا تونية بقليل وهناك اخذت تغيب عنا المناظر شيئا فشيئاً وان كان القمر يجود علينا بانارة بعض نواحي تلك النواحي الملأنة بالجمال الطبيعي.

كانت ليلتنا باردة بحيث اضطررت في موهن من الليل ان اضاعف الغطاء. كان صباح السبت فحاولنا ان نرى شمسه فلم نفلح لأن الجو ملبد بالغيوم، وما كادت تحل الساعة العاشرة إلا واخذت تلك الغيوم تنثر علينا تارة رذاذا واخرى جودا والقطار يسير بين الاعلام الشامخة والاشجار المورقة والمياه التي تنساب على حصباء بالدر، وزاد هذا المنظر جمالا وجلالا بحيرة "موشاة" الحواشي بالاشجار المختلفة الانواع والاشكال مما يفوق الوصف. ومن بديع المناظر اولئك القرويون الذين يحملون انواع الفواكه اليانعة بسلال منمقة بالزهور ويعرضونها على ركاب القطار. وهو منظر بديع. كما اني رأيت منظرا يشبهه قبل ذلك في اسكى شهر. وهناك انواع من السبح والقلائد وانواع الخرز من مصنوعات اهل البلد انفسهم يعرضونها باساليب مختلفة ولم يسعنا مع الأسف، الوصول اليهم بسبب عدم ثقتنا من احد.

وقف القطار هناك وعند الساعة الثانية ب. ظ. وصلنا ازميت. وهي بلدة جميلة يخرقها القطار من وسطها اختراقا وجاوزناها محاذين لخليجها الجميل عن يسارنا. والقطار من حين لآخر يكاد يقبل عذار هذا الخليج. ويلوح لي من بعد على العدوة القصوى للخليج هضاب معممة بالغمام عليها بيوت منتثرة هنا وهناك.

وصلنا محطة حيدر باشا عند الساعة الخامسة بعد ظهر السبت ١٣ الجاري وهناك رأينا جماعة من ممثلي الفنادق الكبرى، مثل طوقاتليان والكونتنتال وأوتيل لندن وغيرها. فاختار اصحابنا اوتيل لندن إلا عبد الله الصانع فلم يقع نظره إلا على طوقاتليان.

أوتيل لندن يعد من الاوتيلات المعتبرة وهو واقع على قمة تيه باشي، يطل على حديقة واسعة وعلى البسفور ايضا، واجرة الليلة الواحدة ٣ ونصف ليرات تركية، وهي اجره متوسطة، والاوتيل انكليزي، ومن الغريب ان وكيل الاوتيل عندما استقبلنا بالمحطة استولى على اسبانيا وسيسرنا كما يشاء لا كما نشاء الى ان دسنا في الغرف التي ارادها لا التي نريدها، ولكن لحسن الحظ كانت الغرف التي اعدت لنا من احسن الغرف، ولم يسمحوا لنا فيها إلا لأن الواحدة منها تشتمل على اكثر من سرير، وما كاد يستقر بنا المقام حتى خرج الحاج شكري مع رفيق له هائمين على وجوههما وبينما نحن نتهيأ للخروج واذا بعاصم الجلبي واحمد الراوي عندنا، فخرجا بي الى مواطن مختلفة، وبالاخير انفرد السيد احمد بدلالتنا وذهب بنا الى متنزه وجدنا فيه (.....) و(.....) يعبان البيرة عبا فجلسنا إليهم واستأنسنا كثيرا ثم رجعنا وتعشينا وبعد قليل دخلنا في سينما قرب الاوتيل فوجدناه يعرض رواية غاية في الخلاعة ووجدنا القاعة – وكانت مكشوفة غاصة بالمتفرجين من الرجال والنساء والاولاد.

وفي يوم الأحد فضلت ان اتجول في احياء المدينة وحدي ولكن عاصم الجلبي طلب الي ان ازور معه ايا صوفيا وجامع السلطان احمد فزرتهما، فوجدت آثار الاهمال بادية عليهم والاوساخ غالبة عليهما، والناس عن دخولهما زاهدون لا السياح من الاجانب، ثم فارقت الجلبي وتوغلت. في بعض احياء المدينة ولاسيما حي (نيه باشي فوجدت الطرق تشبه طرقنا والاوساخ متراكمة هنا وهناك وآثار الخراب ظاهرة والجادات غاصة بالسيارات زيادة على الترام، ولكن نظام السير يكاد يكون مهملا لقلة الشرطة القائمة على ذلك ومن ثم يكثر الاصطدام من حين لآخر.

وفي يوم الاثنين زرنا سلطان ايوب، وقاضي كوي وسلطان فاتح، والشاهزادة، ثم ليلا بعض مواطن الطرب ويوم الثلاثاء زرنا الجزر كناري، وبوغاز، وهكبلي، وبيوك آطه. وهو يوم العجائز.

وفي يوم الأربعاء زرنا المتاحف المختلفة وقضينا الليل في سراي ويوم الخميس زرت بعض المتنزهات.

وفي يوم الجمعة زرنا بقية المتنزهات الواقعة على ضفة هذا البغاز حتى نهايته، ويوم الجمعة يوم مشهود في هذا البغاز يقصده عشرات الالوف من رجال ونساء، وفي الغالب نرى افراد العائلة برمتها تنتقل من جهة لأخرى ولاسيما في جهة حوفكار صولي وجرجر صولي، الأول واقع على سند جبل شاهق يوصل اليه من طريق ممهدة ولكنها متعبة وملتوية. يصعدون مشاة او على الحمير وبالسيارة قليلا والماء الثاني في سفح جبل مقابل ولكنه ليس بالمرتفع كثيرا وقد رأينا على المائين مئات من العائلات ومعهم طعامهم وكثير منهم مشغول بالطبخ والشي واحضار الاطعمة المختلفة وهناك تتجلى حالة الأسرة الاسطنبولية.

في يوم السبت قصدنا الخزينة فوجدناها مقفلة. وعند الساعة الثالثة اخبرني داود سليم تليفونيا بلزوم حضور جنازة المرحوم صبيح بك نشأت. وقد دفن في قمة مقبرة سلطان ايوب بعد ان صلى عليه في الجامع ولقنه احد المشايخ ، وقد حضر الموكب والى استانة ومدير الأمن فيها وسفراء الدول واحضرت هناك اكاليل الزهور المختلفة. وطريقة الدفن تختلف عنها عندنا فان القبر يبنى بالاجر وبعد وضع التابوت يسقف بصفائح من الاسمنت وتسد جميع المنافذ ثم يوضع التراب بعد ان تصف االيل الزهور على جوانبه.

وفي يوم الأحد ٢١ منه دعانا الأخ عزّت بك الأعظمي الى متنزه واقع في البغاز يقال له (جبقلي) وهو متنزه جميل المناظر جدا باشق الاشجار عذب الماء، بارد الهواء، وهناك جوق موسيقي يعزف الذ الانغام واشجاها. فكان الابتهاج كبيرا والسرور كثيرا.

ويوم الثلاثاء ذهبت انا وعبد الرحمن ورفيق ونشأت الى بيوك فكان من ابهج ايام الحياة.

اما يوم الأربعاء فقضيناه بمراجعة الأطباء ويوم الخميس ٢٤ منه فزرنا متحف السلاطين في سراي طوب تبو المسمى بالخزينة، وهو افخم المتاحف وأروعها، وهناك مساكن سلاطين آل عثمان وأثاثهم كما هي الى عهد عبد المجيد وفيها من الآثار التاريخية ما يفوت الحصر. وفي المساء ذهبت الى ماجقة، وزرت كشك عز الدين وهو في حديقة سائلة في واد اخضر عامر باشجار الصنوبر الباسقة وغيرها، يطل على حوض من اجمل ما يقع عليه نظر الناظر، وتحته مغارة تشبه المغاور الطبيعية تكف بالماء على ارض صخرية، ومن هناك ينقسم على الاشجار.

يوم الجمعة ٢٦ منه:

ذهبت الى بيوك اطه وتجولت في اطرافها راكبا عربة، وجلست على ساحل البحر في محل يشرف على مسبح عام للرجال والنساء معاً. وقد جاورتنا طول مدة جلوسنا فتاة من اجمل خلق الله شعرا ووجها وعينا، ومن الاهانة لها ان تشبه بالغزال وان كان يشبهها في اللفتات والنظرات .

رجعنا في باخرة غاصة بالمتخاصرين فما كاد يملكنا البحر حتى ضج فريق من الركاب وعجوا ولا عجيج الحجيج بالتلبية يوم النفر.

السبت ٢٧ منه :

زرت دار الفنون، وهي بناية فخمة كانت في الأصل محل السر عسكر وهي اليوم تضم الالهيات والفلسفة والآداب والحقوق، وتجاورها بناية اخرى تضم الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والصف الأول من مدرسة الطب. وهناك ساحة في مركزها حوض واسع له نافورتان بديعتان ويجاور ذلك كله برج بايزيد (بايد قله سي) او (يانغين قله سي) اي برج الحريق، وهو ذاهب في الفضاء يصعد اليه من داخله على درج ذات ٢٥٦ درجة، وقد رقيته الى اعلى قمته فوجدت الاستانة برمتها تحتي كأنها خريطة متقنة. والمفهوم ان هذا البرج اعلى محل في الاستانة لأني لم ار شيئا يوازيه إلا بيوك جاملجة وكجك جاملجة اللتين زرتهما في اليوم التالي. ومن هناك ذهبت الى جامع بايزيد، ومنه الى جامع السليمانية، وهو جامع فخم مربع لشكل ١٠٠ خطوة في مثلها. ثم زرت المكتبات القديمة وهي خاوية على عروشها في سوق ضيقة، وهناك رأيت سوقا تشبه اسواق بغداد بضيقها وطيقانها . ثم مساء، ذهبت لرؤية مدفن محمود شوكت باشا، وهو في نهاية جهة الشيشلي، في نهاية العمران من تلك الجهة.

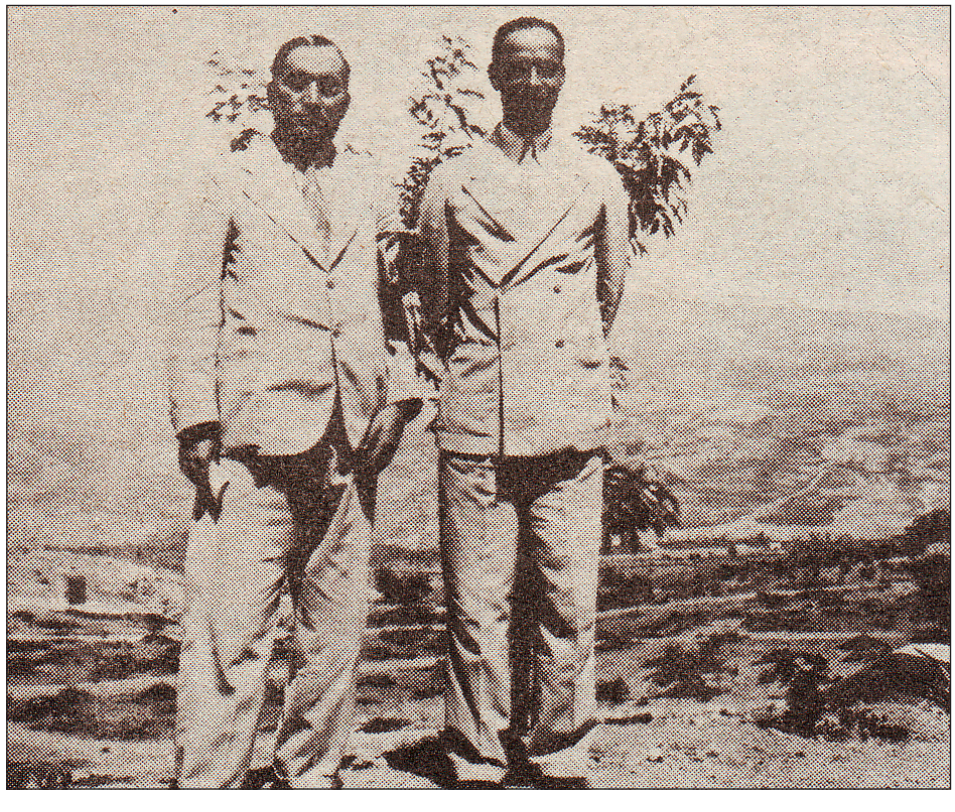

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طه الراوي في مرأة معاصرية

رأيت كثيرا من العلماء وعاشرت عديدا من الادباء وخالطت جمهرة من ذوي الخلق الكريم فما كانوا لك ندا ولا لشخصك العظيم في نفسي ظلا...

علي الجارم
عدد مجلة «الرحاب» الخاص
بطه الراوي العدد السادس
١٩٤٦/١٢/٢٢

ما احوجنا الى طبقة متزنة من الرجال تعرف الموازين والاقدار، تعرف نفسها وتعرف الناس، فان من لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره كما ورد في المأثور.
فقدنا الصديق المرحوم احوج ما كنا اليه من هذه الناحية، فقد عرفنا فيه حكمة السلف وتواضعهم وكان – كما قلنا – اعدى عدو للصلف والغرور والفساد وما الى ذلك من ذميم الاخلاق ومساوئ الصفات الشائعة.

محمد رضا الشبيبي
جريدة «الزمان» العدد ٣٠٤٩»
٢١ تشرين الاول ١٩٤٧

... وكانت الفترة التي علمان فيها في دار المعلمين من الظروف العاصفة قبل ثورة ١٩٢٠ وفي خلالها وعقيبها، ومع ان الرجل كان يتحسس حسا وطنيا خالصا، فقد كان عقله يتغلب على عواطفه المكبوثة ، فيعنى بان يشربنا المبادئ الصحيحة في الوطنية العاملة من غير تهويش، وبعيدا جدا عن تحدي القانون والنظام.

رفائيل بطي
(جريدة «البلاد» العدد ٤٤٧٨»
٢١ تشرين الاول ١٩٥٥ ، ص٣)

... قبل ايام افاقت بغداد على نعيه افاقة الحالم لاكاد تصدق الخبر، وفزع الناس بأمالهم الى الكذب، وطار النعي في ارجائها، فهلعت قلوب ووجفت افئدة، واستطيرت عقول.
اجل، هذه خاتمة المحققين وامام اهل العلم يفيض سناؤه فكيف لا تنشق عليه المرائر وتتفتت الاكباد، وبلغني النبأ المشؤوم فجمدت لا اطيق حراكا ولا احير كلاما، وصحوت كصحوة الميت فذكرت عهدا غير بعيد كنت انعم فيه بعلمه واستظل بوارف من حنانه وعطفه وأوي الى ركن شديد من رعايته.

د. احمد عبد الستار الجواري
(جريدة «السجل» العدد ٣٢ في ٢٨
تشرين الاول ١٩٤٦، ص٢)

عرفت الاستاذ الكريم – اوسع الله له في رحمته، واجزل لاهله واخوانه وتلاميذه الصبر والعزاء – منذ عشر سنين ولقيته في بغداد، والقاهرة، والقدس، وفي مدائن من سوريا ولبنان ، وراسلته على ابعد، وجالسته طويلا، وتحادثنا في العلم والادب والسياسة والاجتماع والاخلاق وفي امور شتى ، فما عرفته الا ذكيا عالما اديبا فاضلا، لا يتكلم في موضوع الا افاض فيه افاضة المحيط باطرافه، المتمكن منه، المتثبت فيه، وكم قلت في حضوره وغيبته اعترافا بالحق: «ما يجلس احد الى الاستاذ طه الا استفاد من فلسفته».

عبد الوهاب عزام
(مجلة «الرسالة» القاهرية، العدد
٦٩٦، ٤ نوفمبر ١٩٤٦، ص ١٢٣٢)

والهمك اسم المصطفى من جلاله
فنزهت «طه» ان يكون مضيعا
وقد كنت قوالا بحق وآمرا
بعرف ومدعاه الى الخير مقنعا
وكت اذا ما نكس النكس رأسه
عن الوطن الداعي لرأسك مطلعا
تساميت عن جهل التعصب مبغضا
لاربابه عن خبثهم مترفعا
طوتك يد الاقدار سفرا مكرما
ستقرأه الاجيال احلى وانصعا
واذ ذاك تلقى كل ما انت اهله
جلالة قدر وائتلافا وموضعا

الدكتور مصطفى جواد
(مجلة «الرحاب» ، العدد الساسد
١٩٤٦/١٢/٢٢، العدد الخاص بطه
الراوي ص١١)

فجعت بالطف العلماء روحا
وافصحهم اذا اشتجر الجدال
اديب لا يساميه اديب
له في كل معضلة مقال

الدكتور زكي مبارك
(مجلة «الرحاب» العدد الخاص بطه
الراوي ، ص١٢)

عراقيون
من زمن التوهج